

الله لئلا فأنزل الله هذه الآية (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن
وكبره تكبيراً) وقال أيضاً حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم
أهله هذه الآية (الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) الآية ، الصغير من أهله والكبير . قلت وقد جاء في حديث أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم سمى هذه الآية آية العز وفي بعض الآثار أنها ماقرئت في بيت في ليلة فيصيه سرق أو آفة والله
أعلم ، وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا بشر بن سيجان البصرى حدثنا حرب بن ميمون حدثنا موسى بن عبيدة الزبيدي عن
محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال خرجت أنا ورسول الله ﷺ ويده في يدي أو يدي في يده فأتى على رجل
رث الهيئة فقال « أي فلان ما بلغ بك ما أرى ؟ » قال السقم والضر يارسول الله قال « ألا أعليك كلمات تذهب
عنك السقم والضر ؟ » قال بلى ، مايسرنى أن شهدت بها معك بدرا أو أحدا ، قال فضحك رسول الله ﷺ وقال
« وهل يدرك أهل بدر وأهل أحد ما يدرك الفقير القانع ؟ » قال: فقال أبو هريرة يارسول الله إياي فعلتني قال « فقل
يا أبا هريرة نوكلت على الحى الذى لا يموت ، الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من
الدن وكبره تكبيراً » قال فأتى على رسول الله وقد حسنت حالى قال : فقال لى « مهيم » قال قلت يا رسول الله لم
أزل أقول الكلمات التى علمتني ، إسناده ضعيف وفي متنه نكارة والله أعلم . آخر تفسير سورة سبحان والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الكهف وهى مكية ﴾

﴿ ذكر ما ورد في فضلها والعشر الآيات من أولها وآخرها وأنها عصمة من الدجال ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا محمد
ابن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحق قال سمعت البراء يقول : قرأ رجل الكهف وفي الدار دابة فجعلت تنفر فنظر
فإذا ضباباً أو سحابة قد غشيت فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « اقرأ فلان فانها السكينة تنزل عند القرآن أو تنزلت
للقرآن » أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به وهذا الرجل الذى كان يتلوها هو أسيد بن الحضير كما تقدم
في تفسير سورة البقرة . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا همام بن يحيى عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان
ابن أبي طلحة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال »
رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذى من حديث قتادة به ، ولفظ الترمذى « من حفظ ثلاث آيات من أول
الكهف » وقال حسن صحيح ، (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم بن
أبي الجعد يحدث عن معدان عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف
عصم من فتنة الدجال » ورواه مسلم أيضاً والنسائي من حديث قتادة به ، وفي لفظ النسائي « من قرأ عشر آيات
من الكهف » فذكره ، (حديث آخر) وقد رواه النسائي في اليوم والليلة عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد عن شعبة
عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قرأ العشر الأواخر من سورة
الكهف فإنه عصمة له من الدجال » فيحتمل أن سالماً سمعه من ثوبان ومن أبي الدرداء وقال أحمد حدثنا حسين
حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبائن بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
« من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين السماء
والأرض » انفرد به أحمد ولم يخرجوه ، وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره بإسناد له غريب عن خالد
ابن سعيد بن أبي مريم عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ سورة الكهف في يوم
الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين » وهذا الحديث في رفعه
نظر وأحسن أحواله الوقف . وهكذا روى الإمام سعيد بن منصور في سننه عن هشيم بن بشير عن أبي هاشم عن
أبي مجاز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أنه قال : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من
النور ما بينه وبين البيت العتيق . هكذا وقع موقوفاً ، وكذا رواه الثوري عن أبي هاشم به من حديث أبي سعيد الخدري

وقد أخرجه الحاكم في مستدرکه عن أبي بكر محمد بن المؤمل حدثنا الفضيل بن محمد الشعرائي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا هشيم حدثنا أبو هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين » ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في سننه عن الحاكم ، ثم قال البيهقي ورواه يحيى بن كثير عن شعبة عن أبي هاشم بإسناده أن النبي ﷺ قال « من قرأ سورة الكهف كما نزلت كانت له نوراً يوم القيامة » وفي المختارة للحافظ الضياء المقدسي عن عبد الله بن مصعب عن منظور بن زيد بن خالد الجهني عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي مرفوعاً : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنه ، وإن خرج الدجال عصم منه .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَّا كَثِيرٌ فِيهِ أَرْبَابٌ مُّقْتَصِدُونَ * وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾

قد تقدم في أول التفسير أنه تعالى يحمد نفسه المقدسة عند فواتح الأمور وخواتمها فإنه المحمود على كل حال وله الحمد في الأولى والآخرة ولهذا حمد نفسه على إنزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه فإنه أعظم نعمة أنعمها الله على أهل الأرض إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور حيث جعله كتاباً مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا زيغ بل يهدي إلى صراط مستقيم واضحاً بيناً جليلاً نديراً للكافرين بشيراً للمؤمنين ولهذا قال (ولم يجعل له عوجاً) أي لم يجعل فيه اعوجاجاً ولا زيغاً ولا ميلاً بل جعله معتدلاً مستقيماً ولهذا قال (قياً) أي مستقيماً (لينذر بأسا شديداً من لدنه) أي لمن خالفه وكذبه ولم يؤمن به ينذره بأسا شديداً عقوبة عاجلة في الدنيا وآجلة في الآخرة (من لدنه) أي من عند الله الذي لا يعذب عباده أحد ، ولا يوثق وثاقه أحد (ويبشر المؤمنين) أي بهذا القرآن الذين صدقوا بإيمانهم بالعمل الصالح (أن لهم أجراً حسناً) أي مثوبة عند الله جميلة (ما كثر في) في ثوابهم عند الله وهو الجنة خالد في (أبدأ) دائماً لازوال له ولا انقضاء . وقوله (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) قال ابن إسحاق وهم مشركو العرب في قولهم نحن نعبد الملائكة وهم بنات الله (ما لهم به من علم) أي بهذا القول الذي افتروه واتفكوه (ولا آباءهم) أي لأسلافهم (كبرت كلمة) نصب على التمييز تقديره كبرت كلمتهم هذه . وقيل على التعجب تقديره أعظم بكلمتهم كلمة كما تقول أكرم يزيد رجلاً قاله بعض البصريين ، وقرأ ذلك بعض قراء مكة كبرت كلمة كما يقال عظم قولك وكبر شأنك ، والمعنى على قراءة الجمهور أظهر فإن هذا تبشيع لمقاتلهم واستعظام لافسكهم ولهذا قال (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) أي ليس لها مستند سوى قولهم ولا دليل لهم عليها إلا كذبهم وافتراؤهم ولهذا قال (إن يقولون إلا كذباً) وقد ذكر محمد بن إسحاق سبب نزول هذه السورة الكريمة فقال حدثني شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال : بعث قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أخبار يهود بالمدينة فقالوا لهم سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى أتيا المدينة فسألوا أخبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالوا : إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، قال فقالوا لهم سلوه عن ثلاث تأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فرجل متقول فتروا فيه رأيكم : سلوه عن فنية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنهم قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كانت نبؤه ،

وسأله عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم ، فأقبل النصر وعقبه حتى قدما على قريش فقلنا يامعشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أبحار يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد أخبرنا فسأله عما أمرهم به فقال لهم رسول الله ﷺ « أخبركم غدا عما سألتكم عنه » ولم يستثن فأنصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيا ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألتناه عنه وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معابته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقول الله عز وجل (ويسئلونك عن الروح؟ قال الروح) الآية .

﴿ فَلَمَّا كَبُخِعَ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا * إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَىٰ الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾

يقال تعالى مسليا لرسوله صلوات الله وسلامه عليه في حزنه على المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه كما قال تعالى (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وقال (ولا تحزن عليهم) وقال (لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين) باخع أى مهلك نفسك بحزنك عليهم ولهذا قال (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) يعنى القرآن (أسفا) يقول لا تهلك نفسك أسفا ، قال قتادة : قاتل نفسك غضبا وحزنا عليهم ، وقال مجاهد جزعا والمعنى متقارب أى لا تأسف عليهم بل أبلغهم رسالة الله فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، ثم أخبر تعالى أنه جعل الدنيا داراً فانية مزينة بزينة زائلة ، وإنما جعلها دار اختبار لادار قرار فقال (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) قال قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء » ثم أخبر تعالى بزوالها وفنائها وفراغها واتقاضها وذهابها وخرابها فقال تعالى (وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) أى وإنا لمصيروها بعد الزينة إلى الخراب والدمار فنجعل كل شيء عليها هالكا صعيدا جرزا لا ينبت ولا ينتفع به كما قال العوفي عن ابن عباس فى قوله تعالى (وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) يقول يهلك كل شيء عليها ويبيد وقال مجاهد صعيدا جرزا بلقعا ، وقال قتادة : الصعيد الأرض التى ليس فيها شجر ولا نبات ، وقال ابن زيد : الصعيد الأرض التى ليس فيها شيء ألا ترى إلى قوله تعالى (أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) وقال محمد بن إسحق (وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) يعنى الأرض وإن ما عليها لفان وبائد وإن المرجع لألى الله فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترى .

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِن ۚءِ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَدَّلْنَا حَفْظَهُمْ لِنَفْسِهِمْ أَيُّ الْحَزَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾

هذا إخبار من الله تعالى عن قصة أصحاب الكهف على سبيل الإجمال والاختصار ثم بسطها بعد ذلك فقال (أم حسبت) يعنى يا محمد (أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أى ليس أمرهم عجيبا فى قدرتنا وسلطاننا فإن

الشايع من قريش فعاتمهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل . وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا قية شباباً ، وقال مجاهد بلغني أنه كان في آذان بعضهم القرطة يعنى الحلق فألهمهم الله رشدهم وآتاهم تقواهم فأمنوا بربههم أى اعترفوا له بالوحدانية وشهدوا أنه لا إله إلا هو (وزدناهم هدى) استدلل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الأئمة كالبخارى وغيره ممن ذهب إلى زيادة الإيمان وتفاضله وأنه يزيد وينقص ، ولهذا قال تعالى (وزدناهم هدى) كما قال (والدين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون) وقال (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك . وقد ذكر أنهم كانوا على دين المسيح عيسى بن مريم فآله أعلم ، والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية فانهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمبايئتهم لهم ، وقد تقدم عن ابن عباس أن قريشا بعثوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يتحنون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء وعن خبر ذى القرنين وعن الروح فدل هذا على أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب وأنه متقدم على دين النصرانية والله أعلم . وقوله (وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض) يقول تعالى وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدببتهم ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة فانه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم وأنهم خرجوا يوماً في بعض أعياد قومهم وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد ، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له دقيانوس وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم إليه فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم عرفوا أن هذا الذى يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغى إلا لله الذى خلق السموات والأرض فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز منهم ويتبرز عنهم ناحية فكان أول من جلس منهم وحده أحدهم جلس تحت ظل شجرة فجاء الآخر فجلس إليها عنده وجاء الآخر فجلس إليها وجاء الآخر فجلس إليهم وجاء الآخر وجاء الآخر ولا يعرف واحد منهم الآخر وإنما جمعهم هناك الذى جمع قلوبهم على الإيمان كما جاء في الحديث الذى رواه البخارى تعليقا من حديث يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث سهيل عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ والناس يقولون :الجنسية علة الضم ، والغرض أنه جعل كل أحد منهم يكتم ما هو عليه عن أصحابه خوفاً منهم ولا يدرى أنهم مثله حتى قال أحدهم تعلمون والله يا قوم إنه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم إلا شئ فليظهر كل واحد منكم بأمره . فقال آخر أما أنا فإني والله رأيت ما قومي عليه فعرفت أنه باطل وإنما الذى يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به شئ هو الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما وقال الآخر وأنا والله وقع لى كذلك وقال الآخر كذلك حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة فصاروا يداً واحدة وإخوان صدق فاتخذوا لهم معبداً يعبدون الله فيه فعرف بهم قومهم فوشوا بأمرهم إلى ملكهم فاستحضرهم بين يديه فسألهم عن أمرهم وما هم عليه فأجابوه بالحق ودعوه إلى الله عز وجل ولهذا أخبر تعالى عنهم بقوله (وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً) ولن لنفى التأيد أى لا يقع منا هذا أبداً لئلا نفع لنا ذلك لكان باطلاً ولهذا قال عنهم (لقد قلنا إذا شططا) أى باطلاً وكذباً وبهتاناً (هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهاً لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أى هلا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلاً واضحاً صحيحاً (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً) يقولون بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك فيقال إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله أبى عليهم وتهددهم وتوعدهم وأمر بنزع لباسهم عنهم الذى كان عليهم من زينة قومهم وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلمهم يرجعون عن دينهم الذى كانوا عليه ، وكان هذا من لطف الله بهم فانهم في تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة وهذا هو الشرع عند وقوع الفتن فى الناس أن يفر العبد منهم خوفاً على دينه كما جاء في الحديث « يوشك

أن يكون خير مال أحدكم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن « ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس ولا تشرع فيما عداها لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع فلما وقع عزمهم على الذهاب والهرب من قومهم واختار الله تعالى لهم ذلك وأخبر عنهم بذلك في قوله (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) أي وإذ فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله ففارقوهم أيضاً بأبدانكم (فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته) أي يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم (ويهيئ لكم من أمركم) الذي أتم فيه (مرفقاً) أي أمراً ترتفقون به فعند ذلك خرجوا هرباً إلى الكهف فأووا إليه ففقدتهم قومهم من بين أظهرهم وتطلبهم الملك فيقال إنه لم يظفر بهم وعمى الله عليه خبرهم كما فعل بنبيه محمد ﷺ وصاحبه الصديق حين لجأ إلى غار ثور وجاء المشركون من قريش في الطلب فلم يهتدوا إليه مع أنهم يرون عليه وعندما قال النبي ﷺ حين رأى جذع الصديق في قوله يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدمي لأبصرنا فقال « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ » وقد قال تعالى (إلنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزله الله سكنته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزير حكيم) قصة هذا الغار أشرف وأجل وأعظم وأعجب من قصة أصحاب الكهف ، وقد قيل إن قومهم ظفروا بهم ووقفوا على باب الغار الذي دخلوه فقالوا ما كنا نريد منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم فأمر الملك بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم ففعلوا ذلك ، وفي هذا نظر والله أعلم . فإن الله تعالى قد أخبر أن الشمس تدخل عليهم في الكهف بكرة وعشيا كما قال تعالى .

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ فَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ يُضِلَّهُ فَلَئِنَّ تَجَدُّدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾

فهذا فيه دليل على أن باب هذا الكهف كان من نحو الشمال لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه (ذات اليمين) أي يتقلص النور عنها كما قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقتادة (تزاور) أي تميل وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان ، ولهذا قال (وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) أي تدخل إلى غارهم من شمال بابه وهو من ناحية المشرق فدل على صحة ما قلناه وهذا بين لمن تأمله وكان له علم بمعرفة الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب ويانه أنه لو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل إليه منها شيء عند الغروب ولو كان من ناحية القبلة لما دخل منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب ولا تزاور النور بينا ولا شمالا ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع بل بعد الزوال ولم تزل فيه إلى الغروب فتعين ما ذكرناه والله الحمد ، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة تقرضهم تتركهم ، وقد أخبر الله تعالى بذلك وأراد منافهم وتدبره ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي ، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالاً فتقدم عن ابن عباس أنه قال هو قريب من أيلة ، وقال ابن إسحاق هو عند نينوى وقيل ببلاد الروم وقيل ببلاد البلقاء والله أعلم بأي بلاد الله هو ، ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه فقد قال صلى الله عليه وسلم « ماتركت شيئاً يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أعلمتكم به » فأعلمنا تعالى بصفته ولم يعلمنا بمكانه فقال (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم) قال مالك عن ابن زيد بن أسلم تميل (ذات اليمين) وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه) أي في متسع منه داخلاً بحيث لا تصيبهم إذ لو أصابتهم لأحرقت أبدانهم وثيابهم قاله ابن عباس (ذلك من آيات الله) حيث أرشدهم إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقي أبدانهم ، ولهذا قال تعالى (ذلك من آيات الله) ثم قال (من يهد الله فهو المهتد) الآية أي هو الذي أرشد هؤلاء الفتية إلى الهداية من بين قومهم فإنه من هداها الله اهتدى ومن أضله فلا هادي له .

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلْتُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلِمَاتٍ مِنْهُمْ رُغْبًا ﴾

ذكر بعض أهل العلم أنهم لما ضرب الله على آذانهم بالنوم لم تنطبق أعينهم لثلا يسرع إليها البلى فاذا بقيت ظاهرة للهواء كان أبقى لها ، ولهذا قال تعالى (وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود) وقد ذكر عن الثعلبي أنه ينام فيطبق عينا ويفتح عينا ثم يفتح هذه ويطبق هذه وهو راقد كما قال الشاعر :

ينام باحدى مقلتيه ويتقى * بأخرى الرزايا فهو يقظان نائم

وقوله تعالى (وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قال بعض السلف يقبلون في العام مرتين قال ابن عباس لو لم يقبلوا لأكلتهم الأرض وقوله (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة: الوصيد الفناء ، وقال ابن عباس بالباب وقيل بالصعيد وهو التراب والصحيح انه بالفناء وهو الباب ومنه قوله تعالى (إنها عليهم مؤصدة) أى مطبقة مغلقة ويقال وصيد وأصيد يربض كلبهم على الباب كما جرت به عادة الكلاب ، قال ابن جرير يحرس عليهم الباب وهذا من سجيته وطبيعته حيث يربض بياهم كأنه يحرسهم وكان جلوسه خارج الباب لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب كما ورد في الصحيح ولا صورة ولا جنب ولا كافر كما ورد به الحديث الحسن . وشملت كلبهم بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال وهذا فائدة صحة الاختيار فانه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن . وقد قيل إنه كان كلب صيد لأحدهم وهو الأشبه وقيل كلب طباطب الملك وقد كان واقفهم على الدين وصحبه كلبه فأنه أعلم ، وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة همام بن الوليد الدمشقي حدثنا صدقة بن عمر الغساني حدثنا عباد المنقرى سمعت الحسن البصرى يقول كان اسم كلبى إبراهيم عليه الصلاة والسلام جرير واسم هدهد سليمان عليه السلام عنفز واسم كلب أصحاب الكهف قطير واسم عجل بنى إسرائيل الذى عبده بهموت . وهبط آدم عليه السلام بالهند وحواء بجدة وإبليس بدست بيسان والحية بأصفهان ، وقد تقدم عن شعيب الجبائى أنه سماه حمران واختلفوا فى لونه على أقوال لا حاصل لها ولا طائل تحتها ولا دليل عليها ولا حاجة إليها بل هى مما ينهى عنه فإن مستندها رجم بالنيب ، وقوله تعالى (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا وملتت منهم رعبا) أى أنه تعالى ألقى عليهم الهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هاجهم لما ألبسوا من الهابة والذعر لثلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يد لأمس حتى يبلغ الكتاب أجله وتنقض رقبتهم التى شاء تبارك وتعالى فىهم لما له فى ذلك من الحكمة والحجة البالغة والرحمة الواسعة .

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا * إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴾

يقول تعالى كما أرفقناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم لم يفقدوا من أحوالهم وهياتهم شيئا وذلك بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين ولهذا تساءلوا بينهم (كم لبئتم ؟) أى كم رقدتم (قالوا لبئنا يوما أو بعض يوم) لأنه كان دخولهم إلى الكهف فى أول نهار واستيقاظهم كان فى آخر نهار ولهذا استدركوا فقالوا (أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبئتم) أى الله أعلم بأمركم وكأنه حصل لهم نوع تردد فى كثرة نومهم فأنه أعلم ثم عدلوا إلى الأهم فى أمرهم إذ ذاك وهو احتياجهم إلى الطعام والشراب فقالوا (فابعثوا أحداكم بورقكم)

أى فضتكم هذه وذلك أنهم كانوا قد استصحبوا معهم دراهم من منازلهم لحاجتهم إليها فتصدقوا بها وبقي منها فلهدنا قالوا (فابعثوا أحداكم بورقكم هذه إلى المدينة) أى مدينتكم التى خرجتم منها والألف واللام للعهد (فلينظر أياهم أركى طعاماً) أى أطيب طعاماً كقوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما ركى منكم أحد أبداً) وقوله (قد أفلح من تركى) ومنه الزكاة التى تطيب المال وتطهره وقيل أ كثر طعاما ومنه زكا الزرع إذا كثر قال الشاعر :

قبائلنا سبع وأتم ثلاثة وللسبع أركى من ثلاث وأطيب

والصحيح الأول لأن مقصودهم إنما هو الطيب الحلال سواء كان كثيراً أو قليلاً ، وقوله (وليتلفظ) أى فى خروجه وذهابه وشرائه وإيابه يقولون وليخفف كل ما يقدر عليه (ولا يشعرن) أى ولا يعلمن (بكم أحداً * إنهم إن يظهروا عليكم يرجوكم) أى إن علموا بمكانكم (يرجوكم أو يعيدوكم فى ملتهم) يعنون أصحاب دقيانوس يخافون منهم أن يطلعوا على مكانكم فلا يزالون يعذبونهم بأنواع العذاب إلى أن يعيدوهم فى ملتهم التى هم عليها أو يموتوا وإن وافقتهم على العود فى الدين فلا فلاح لكم فى الدنيا ولا فى الآخرة ولهذا قال (ولن تفلحوا إذا أبدا)

﴿ وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَعَالُوا أ_Bنُو عَلَيْهِمْ مُبِينًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾

يقول تعالى (وكذلك أعترنا عليهم) أى أطلعنا عليهم الناس (ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها) ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك فى البعث وفى أمر القيامة ، وقال عكرمة : كان منهم طائفة قد قالوا تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك ، وذكروا أنه لما أراد أحدهم الخروج ليذهب إلى المدينة فى شراء شىء لهم لىأكلوه تتسكروا وخرج بمشى فى غير الجادة حتى انتهى إلى المدينة وذكروا أن اسمها دقوس وهو يظن أنه قريب العهد بها وكان الناس قد تبدلوا قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل وأمة بعد أمة وتغيرت البلاد ومن عليها كما قال الشاعر :

أما الديار فإنها كديارهم وأرى رجال الحى غير رجاله

فجعل لا يرى شيئاً من معالم البلد التى يعرفها ولا يعرف أحداً من أهلها لا خواصها ولا عوامها فجعل يتحير فى نفسه ويقول لعل بى جنونا أومساً أو أنا حلم ويقول : والله ما بى شىء من ذلك وإن عهدى بهذه البلدة عشية أمس على غير هذه الصفة . ثم قال : إن تعجيل الخروج من ههنا لأولى لى ، ثم عمداً إلى رجل بمن يبيع الطعام فدفع إليه مامعه من النفقة وسأله أن يبيعه بها طعاماً فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضربها فدفعها إلى جاره وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون لعل هذا وجد كنزاً فسألوه عن أمره ومن أين له هذه النفقة لعله وجدها من كنز ومن أنت ؟ فجعل يقول أنا من أهل هذه البلدة وعهدى بها عشية أمس وفيها دقيانوس فنسبوه إلى الجنون فحملوه إلى ولى أمرهم فسأله عن شأنه وخبره حتى أخبرهم بأمره وهو متحير فى حاله وما هو فيه فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف - ملك البلد وأهلها - حتى انتهى بهم إلى الكهف فقال لهم دعونى حتى أتقدمكم فى الدخول لأعلم أصحابى فدخل ، فيقال إنهم لا يدرون كيف ذهب فيه وأخفى الله عليهم خبرهم ، ويقال بل دخلوا عليهم ورأوه وسلم عليهم الملك واعتنقهم وكان مسلماً فيما قيل واسمه يندوسيس ففرحوا به وآسوه بالكلام ثم ودعوه وسلموا عليه وعادوا إلى مضاجعهم وتوفاهم الله عز وجل فأنه أعلم . قال قتادة : غزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة فرأوا بكهف فى بلاد الروم فرأوا فيه عظاماً فقال قائل هذه عظام أهل الكهف فقال ابن عباس لقد بليت عظامهم من أكثر من ثلثائة سنة رواه ابن جرير وقوله (وكذلك أعترنا عليهم) أى كما أركدناهم وأيقظناهم ببيأتهم أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان (ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم) أى فى أمر القيامة فمن مثبت لها ومن منكر فجعل الله ظهورهم على أصحاب الكهف

حجة لهم وعليهم (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم) أى سدوا عليهم باب كهفهم وذروهم على حالهم (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً) حكى ابن جرير فى القائلين ذلك قولين (أحدهما) أنهم المسلمون منهم (والثانى) أهل الشرك منهم فالله أعلم ، والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر ، لأن النبي ﷺ قال «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما فعلوا وقدرونا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه لما وجد قبر دانيال فى زمانه بالعراق أمر أن يخفى عن الناس وأن تدفن تلك الرقعة التى وجدوها عنده فيها شئ من الملاحم وغيرها

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَأَيْنَاهُمْ كَلْبَهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبَهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامِنَهُمْ كَلْبَهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾

يقول تعالى مخبراً عن اختلاف الناس فى عدة أصحاب الكهف فحكى ثلاثة أقوال فدل على أنه لا قائل برابع ولما ضعف القولين الأولين بقوله (رجما بالغيب) أى قولاً بلا علم كمن يرمى إلى مكان لا يعرفه فإنه لا يكاد يصيب وإن أصاب فبلا قصد . ثم حكى الثالث وسكت عليه أو قرره بقوله (وثامنهم كلبهم) فدل على صحته وأنه هو الواقع فى نفس الأمر وقوله (قل ربى أعلم بعدتهم) إرشاد إلى أن الأحسن فى مثل هذا المقام رد العلم إلى الله تعالى إذ لا احتياج إلى الخوض فى مثل ذلك بلا علم لكن إذا أطلعنا على أمر قلنا به وإلا وقفنا . وقوله (ما يعلمهم إلا قليل) أى من الناس . قال قتادة قال ابن عباس أنا من القليل الذى استثنى الله عز وجل كانوا سبعة وكذا روى ابن جرير عن عطاء الخراسانى عنه أنه كان يقول أنا ممن استثنى الله عز وجل ويقول عدتهم سبعة . وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس (ما يعلمهم إلا قليل) قال أنا من القليل كانوا سبعة فهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس أنهم كانوا سبعة وهو موافق لما قدمناه

وقال محمد بن إسحق بن يسار عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد قال لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حداثة سنه وضح الورق . قال ابن عباس فكانوا كذلك ليلهم ونهارهم فى عبادة الله ييكون ويستغيثون بالله وكانوا ثمانية نفر: مكسلينا وكان أكبرهم وهو الذى كلم الملك عنهم ويمليخا ومرطونس وكسطونس ويرونس ودينموس ويطبونس وقالوش هكذا وقع فى هذه الرواية ويحتمل أن هذا من كلام ابن إسحق ومن بينه وبينه فإن الصحيح عن ابن عباس أنهم كانوا سبعة وهو ظاهر الآية وقد تقدم عن شعب الجبائى أن اسم كلبهم حمران وفى تسميتهم بهذه الأسماء واسم كلبهم نظر فى صحته والله أعلم فإن غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب ، وقد قال تعالى (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً) أى سهلاً هيناً فإن الأمر فى معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة (ولا تستفت فيهم منهم أحداً) أى فإنهم لا يعلم لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم رجماً بالغيب أى من غير استناد إلى كلام معصوم ، وقد جاءك الله يا محمد بالحق الذى لا شك فيه ولا مرية فيه فهو التقدم الحاكم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكُر رَبِّكَ إِذْ نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾

هذا إرشاد من الله تعالى لرسول الله ﷺ إلى الأدب فيما إذا عزم على شئ ليفعله فى المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل علام الغيوب الذى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون كما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال «قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة على سبعين امرأة - وفى رواية تسعين امرأة وفى رواية مائة امرأة - تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل فى سبيل الله فقيل له - وفى رواية قال

له الملك - قل إن شاء الله فلم يقل فطاف بهن فلم يلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان ، فقال رسول الله ﷺ
والنبي نفسى بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركا لحاجته » وفي رواية « ولقاتلوا في سبيل الله فرسانا
أجمعون » وقد تقدم في أول السورة ذكر سبب نزول هذه الآية في قول النبي ﷺ لما سئل عن قصة
أصحاب الكهف «غداً أجيكم» فتأخر الوحي خمسة عشر يوماً ، وقد ذكرناه بطوله في أول السورة فأغنى عن
إعادته وقوله (واذكر ربك إذا نسيت) قيل معناه إذا نسيت الاستثناء فاستثنى عند ذكره له قاله أبو العالية والحسن
البصرى ، وقال هشيم عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس في الرجل يخلف قال له أن يستثنى ولو إلى سنة وكان
يقول (واذكر ربك إذا نسيت) ذلك قيل للأعمش سمعته عن مجاهد فقال حدثني به ليث بن أبي سليم يرى ذهب
كسائى هذا ورواه الطبرانى من حديث أبي معاوية عن الأعمش به . ومعنى قول ابن عباس أنه يستثنى ولو بعد سنة أى
إذا نسى أن يقول في حلفه أوفى كلامه إن شاء الله وذكر ولو بعد سنة فالسنة له أن يقول ذلك ليكون آتياً بسنة
الاستثناء حتى ولو كان بعد الحنث قاله ابن جرير رحمه الله ونص على ذلك لا أن يكون رافعا لحنث اليمين ومسقطاً
للكفارة وهذا الذى قاله ابن جرير رحمه الله هو الصحيح وهو الأليق بحمل كلام ابن عباس عليه والله أعلم وقال
عكرمة (واذكر ربك إذا نسيت) إذا غضبت وقال الطبرانى حدثنا محمد بن الحارث الجبلى حدثنا صفوان بن صالح
حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد العزيز بن حصين عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قوله (ولا تقولن لشيء
إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله » واذكر ربك إذا نسيت) أن تقول إن شاء الله ، وروى الطبرانى أيضاً عن
ابن عباس في قوله (واذكر ربك إذا نسيت) الاستثناء فاستثنى إذا ذكرت ، وقال هى خاصة برسول الله ﷺ
وليس لأحد منا أن يستثنى إلا فى صلة من يمينه ثم قال انفرد به الوليد عن عبد العزيز بن الحصين ، ويحتمل
فى الآية وجه آخر وهو أن يكون الله تعالى قد أُرشد من نسي الشيء فى كلامه إلى ذكر الله تعالى لأن النسيان منشؤه
من الشيطان كما قال فقى موسى (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) وذكر الله تعالى يطرد الشيطان فإذا ذهب الشيطان
ذهب النسيان فذكر الله تعالى سبب للذكر ولهذا قال (واذكر ربك إذا نسيت) وقوله (وقل عسى أن يهدين ربى
لأقرب من هذا رشداً) أى إذا سئلت عن شيء لا تعلمه فاسأل الله تعالى فيه وتوجه إليه فى أن يوفقك للصواب والرشد فى
ذلك ، وقيل فى تفسيره غير ذلك والله أعلم .

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا * قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
أُبْصِرُ بِهِ وَأَسْمِعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾

هذا خبر من الله تعالى لرسوله ﷺ بمقدار ما لبث أصحاب الكهف فى كهفهم منذ أُرقدهم إلى أن بعثهم الله
وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان وأنه كان مقداره ثلاثمائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية وهى ثلاثمائة سنة بالشمسية فان تفاوت
ما بين كل مائة سنة بالقميرية إلى الشمسية ثلاث سنين فلهمذا قال بعد الثلاثمائة وازدادوا تسعاً ، وقوله (قل الله أعلم باللبثوا)
أى إذا سئلت عن لبثهم وليس عندك علم فى ذلك وتوقف من الله تعالى فلا تتقدم فيه بشيء بل قل فى مثل هذا (الله أعلم باللبثوا
له غيب السموات والأرض) أى لا يعلم ذلك إلا هو ومن أطلعه عليه من خلقه وهذا الذى قلناه عليه غير واحد من
علماء التفسير كجاهد وغير واحد من السلف والخلف وقال قتادة فى قوله (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين) الآية هذا أقول أهل
الكتاب وقد رده الله تعالى بقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) قال وفى قراءة عبد الله وقالوا ولبثوا يعنى أنه قاله الناس وهكذا قال
قتادة ومطرف بن عبد الله وفى هذا الذى زعمه قتادة نظر فان الذى بأيدى أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة من غير تسع يعنون
بالشمسية ولو كان الله قد حكى قولهم لما قال وازدادوا تسعاً والظاهر من الآية إنما هو إخبار من الله لا حكاية عنهم وهذا
اختيار ابن جرير رحمه الله ورواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة ثم هى شاذة بالنسبة إلى قراءة الجمهور فلا يحتج بها

والله أعلم وقوله (أبصر به وأسمع) أى إنه لبصير بهم سميع لهم . قال ابن جرير وذلك فى معنى المبالغة فى المدح كأنه قيل ما أبصره وأسمعه وتأويل الكلام ما أبصر الله لكل موجود وأسمعه لكل مسموع لا يخفى عليه من ذلك شيء . ثم روى عن قتادة فى قوله (أبصر به وأسمع) فلا أحدا أبصر من الله ولا أسمع . وقال ابن زيد (أبصر به وأسمع) يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم سميعا بصيرا وقوله (ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا) أى انه تعالى هو الذى له الخلق والأمر الذى لا معقب لحكمه وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير تعالى وتقدس

﴿ وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ بتلاوة كتابه العزيز . وإبلاغه إلى الناس (لا مبدل لكلماته) أى لا مغير لها ولا محرف ولا مزيل . وقوله (ولن تجد من دونه ملتحداً) عن مجاهد ملتحداً قال ملجأً وعن قتادة وليلاً مولى قال ابن جرير يقول إن أنت يا محمد لم تتل ما أوحى إليك من كتاب ربك فانه لا ملجأ لك من الله كما قال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) وقال (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أى سائلك عما فرض عليك من إبلاغ الرسالة . وقوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) أى اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيا من عباد الله سواء كانوا قراءاً أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء ، يقال إنها نزلت فى أشرف قريش حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود وليفرد أولئك بمجلس على حدة فنهاه الله عن ذلك فقال (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية وأمره أن يصبر نفسه فى الجلوس مع هؤلاء فقال (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية وقال مسلم فى صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا محمد بن عبد الله الأسدى عن إسرائيل عن المقدم بن شريح عن أبيه عن سعد هو ابن أبى وقاص قال كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما فوقع فى نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) انفراداً بإخراجه مسلم دون البخارى . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبى التياح قال سمعت أبا الجعد يحدث عن أبى أمامة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قاص يقص فأمسك فقال رسول الله ﷺ « قص فلأن أفعى غدوة إلى أن تشرق الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب » وقال أحمد أيضاً حدثنا هاشم ثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت كردوس بن قيس وكان قاص العامة بالكوفة يقول أخبرنى رجل من أصحاب بدر أنه سمع النبي ﷺ يقول « لأن أفعى فى مثل هذا المجلس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب » قال شعبة قلت أى مجلس قال كان قاصاً وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده حدثنا محمد حدثنا يزيد بن أبان عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « لأن أجالس قوما يذكرون الله من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى غروب الشمس أحب إلى من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل دية كل واحد منهم اثنا عشر ألفاً » فحسبنا دياتهم ونحن فى مجلس أنس فبلغت ستة وتسعين ألفاً وههنا من يقول أربعة من ولد إسماعيل والله ما قال إلا ثمانية دية كل واحد

منهم اثنا عشر ألفاً . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن إسحق الأهوازي حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا عمرو ابن ثابت عن علي بن الأقرم عن الأغر أبي مسلم وهو الكوفي أن رسول الله ﷺ مر برجل يقرأ سورة الكهف فسا رأى النبي ﷺ سكت فقال النبي ﷺ « هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسى معهم » هكذا رواه أبو أحمد عن عمرو بن ثابت عن علي بن الأقرم عن الأغر مرسلًا وحدثنا يحيى بن العلى عن منصور حدثنا محمد بن الصلت حدثنا عمرو بن ثابت عن علي بن الأقرم عن الأغر أبي مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد قالوا: جاء رسول الله ﷺ ورجل يقرأ سورة الحج أو سورة الكهف فسكت فقال رسول الله ﷺ « هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسى معهم » وقال الإمام أحمد ثنا محمد بن بكر ثنا ميمون المرزى ثنا ميمون ابن سياه عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات » تفرد به أحمد رحمه الله . وقال الطبرانى ثنا إسماعيل بن الحسن ثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب عن أسامة بن زيد عن أبي حازم عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال : نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بعض آياته (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) الآية فخرج يلتمسهم فوجد قوما يذكرون الله تعالى منهم نائر الرأس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد فلما رآهم جلس معهم وقال « الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرى أن أصبر نفسى معهم » عبد الرحمن هذا ذكره أبو بكر بن أبى داود فى الصحابة وأما أبوه فمن سادات الصحابة رضى الله عنهم . وقوله (ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) قال ابن عباس ولا تجاوزهم إلى غيرهم يعنى تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أى شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا (وكان أمره فرطاً) أى أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياح ولا تكن مطيعاً له ولا محبا لطريقته ولا تعبط بما هو فيه كما قال (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى)

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ وقل يا محمد للناس هذا الذى جئتكم به من ربكم هو الحق الذى لا مرية فيه ولا شك (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا من باب التهديد والوعيد الشديد ولهذا قال (إنا أعتدنا) أى أرسدنا (للظالمين) وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه (ناراً أحاط بهم سرادقها) أى سورها . قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه قال « لسرادق النار أربعة جدر كثافة كل جدار مسافة أربعين سنة » وأخرجه الترمذى فى صفة النار وابن جرير فى تفسيره من حديث دراج أبى السمع به

وقال ابن جرير قال ابن عباس (أحاط بهم سرادقها) قال حائط من نار . قال ابن جرير : حدثنى الحسين بن نصر والعباس بن محمد قالوا حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن أمية حدثنى محمد بن يحيى بن يعلى عن صفوان بن يعلى عن يعلى ابن أمية قال : قال رسول الله ﷺ « البحر هو جهنم » قال فقيل له كيف ذلك ؟ فلا هذه الآية أو قرأ هذه الآية (ناراً أحاط بهم سرادقها) ثم قال « والله لا أدخلها أبداً أو ما دمت حيا لا تصيبنى منها قطرة » . وقوله (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه) الآية قال ابن عباس : المهل الماء الغليظ مثل دردى الزيت ، وقال مجاهد هو كالدلم والقيح وقال عكرمة هو الشيء الذى انتهى حره ، وقال آخرون هو كل شيء أذيب . وقال قتادة : أذاب ابن مسعود شيئاً من الذهب فى أخدود فلما انماع وأزبد قال : هذا أشبه شيء بالمهل . وقال الضحاك : ماء جهنم أسود

وهي سوداء وأهلها سود ، وهذه الأقوال ليس شيء منها ينفي الآخر فإن المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها فهو أسود متنن غليظ حار ولهذا قال (يشوى الوجوه) أى من حره إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه شواه حتى تسقط جلدة وجهه فيه كما جاء في الحديث الذى رواه الإمام أحمد بإسناده المتقدم فى سرادق النار عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه قال « ماء كالمهل - كعكر الزيت فإذا قربه إليه سقطت فروة وجهه فيه » وهكذا رواه الترمذى فى صفة النار من جامعه من حديث رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج به . ثم قال لا نعرفه إلا من حديث رشدين وقد تكلم فيه من قبل حفظه هكذا قال : وقد رواه الإمام أحمد كما تقدم عن حسن الأشيب عن ابن لهيعة عن دراج والله أعلم . وقال عبد الله بن المبارك وبقية بن الوليد عن صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بشر عن أبى أمامة عن النبى ﷺ فى قوله (ويسقى من ماء صديد يتجرعه) قال : « يقرب إليه فيتكرهه فإذا قرب منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعائه ، يقول الله تعالى (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بشس الشراب) » وقال سعيد بن جبیر : إذا جاع أهل النار استغاثوا فأغثوا بشجرة الزقوم فىأكلون منها فاختلبت جلود وجوههم فلو أن مارا مر بهم يعرفهم لعرف جلود وجوههم فيها ، ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل وهو الذى قد انتهى حره فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التى قد سقطت عنها الجلود ولهذا قال تعالى بعد وصفه هذا الشراب بهذه الصفات اللميمة القبيحة (بشس الشراب) أى بشس هذا الشراب كما قال فى الآية الأخرى (وسقوا ماء حميا فقطع أمعائهم) وقال تعالى (تسقى من عين آنية) أى حارة كما قال تعالى (وبين حميم آن) (وساء مرتفقا) أى وساءت النار منزلا ومقيلا ومجتمعا وموضعا للارتفاق كما قال فى الآية الأخرى (إنها ساءت مستقرا ومقاما)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَثِرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِزْمُ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾

لما ذكر تعالى حال الأشقياء نبي بذكر السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين فيما جاءوا به وعملوا بما أمرهم به من الأعمال الصالحة فلهم جنات عدن والعدن الإقامة (تجرى من تحتهم الأنهار) أى من تحت غرفهم ومنزلهم . قال فرعون (وهذه الأنهار تجرى من تحتي) الآية (يحلون) أى من الحلية (فيها من أساور من ذهب) وقال فى المكان الآخر (ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) وفصله ههنا فقال (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق) فالسندس لباس رفيع رقيق كالقمصان وما جرى مجراها وأما الإستبرق فغليظ الدياتج وفيه بريق وقوله (متكئين فيها على الأرائك) الاتكاء قيل الاضطجاع وقيل التربع فى الجلوس وهو أشبه بالمراد ههنا ومنه الحديث الصحيح « أما أنا فلا آكل متكئا » فيه القولان . والأرائك جمع أريكة وهى السرير تحت الحجلة والحجلة كما يعرفه الناس فى زماننا هذا بالشخانة والله أعلم . قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة (على الأرائك) قال هى الحجال قال معمر وقال غيره السررى الحجال . وقوله (نعم الثواب وحسنت مرتفقا) أى نعمت الجنة ثوابا على أعمالهم وحسنت مرتفقا أى حسنت منزلا ومقيلا ومقاما كما قال فى النار (بشس الشراب وساءت مرتفقا) وهكذا قابل بينهما فى سورة الفرقان فى قوله (إنها ساءت مستقرا ومقاما) ثم ذكر صفات المؤمنين فقال (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما)

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا * ﴾

كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَنْظِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلْمَهُمَا نَهْرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿

يقول تعالى بعد ذكره للمشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والساكين من المسلمين وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم فضرب لهم ولهم مثلاً برجلين جعل الله لأحدهما جنتين أى بستانين من أعناب محفوفتين بالتحليل المحدقة فى جنباتهما وفى خلالهما الزروع وكل من الأشجار والزروع مشعر مقبل فى غاية الجودة ولهذا قال (كلتا الجنتين آتت أكلها) أى أخرجت ثمرها (ولم نظلم منه شيئاً) أى ولم تنقص منه شيئاً (وفجرنا خلالهما نهراً) أى والأنهار متفرقة فىهما ههنا وههنا (وكان له ثمر) قيل المراد به المال روى عن ابن عباس ومجاهد وقناة وقيل الثمار وهو أظهر ههنا ويؤيده القراءة الأخرى (وكان له ثمر) بضم الثاء وتسكين المم فىكون جمع ثمرة كخشب وخشب . وقرأ آخرون ثمر بفتح الثاء والميم فقال أى صاحب هاتين الجنتين لصاحبه وهو يحاوره أى يجادله ويخاصمه يفتخر عليه ويتأس (أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً) أى أكثر خدماً وحشماً وولداً . قال قتادة تلك والله أمنية الفاجر كثرة المال وعزة النفس وقوله (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) أى بكفره وعمده وتكبره وتجبره وإنكاره العاد (قال ما أظن أن تبید هذه أبداً) وذلك اغتراب منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة فى جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تنفى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة ولهذا قال (وما أظن الساعة قائمة) أى كائنة (ولئن رددت إلى ربى لأجدن منها منقلباً) أى ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكونن لى هناك أحسن من هذا الحظ عند ربى ولولا كرامتى عليه ما أعطانى هذا كما قال فى الآية الأخرى (ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى) وقال (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً) أى فى الدار الآخرة تألى على الله عز وجل . وكان سبب نزولها فى العاص بن وائل كما سيأتى بيانه فى موضعه إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿

يقول تعالى مخبراً عما أجاه به صاحبه المؤمن واعظاله وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاعتزاز (أ كفرت بالذى خلقك من تراب) الآية وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذى خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين كما قال تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم) الآية أى كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جلية كل أحد يعلمها من نفسه فانه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدوماً وجد وليس وجوده من نفسه ولا مستنداً إلى شىء من المخلوقات لأنه بمثابة فعل إسناد إيجاد إلى خالقه وهو الله لا إله لا هو خالق كل شىء ولهذا قال المؤمن (ولكننا هو الله ربى) أى لكن أنا لا أقول بمقاتلك بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية (ولا أشرك بربى أحداً) أى بل هو الله العبود وحده لا شريك له ثم قال :

(ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا) هذا تمحيض وحش على ذلك أي هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك وقلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ولهذا قال بعض السلف من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل ما شاء الله لا قوة إلا بالله وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة وقد روى فيه حديث مرفوع أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا جراح بن مخلد حدثنا عمر بن يونس حدثنا عيسى بن عون حدثنا عبد الملك بن زرارة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « ما أنعم الله على عبد نعمته من أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت » وكان يتأول هذه الآية (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) قال الحافظ أبو الفتح الأزدي عيسى بن عون عن عبد الملك ابن زرارة عن أنس لا يصح حديثه . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة وحجاج حدثني شعبة عن عاصم ابن عبيد الله عن عبيد مولى أبي رهم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا قوة إلا بالله » تفرد به أحمد ، وقد ثبت في الصحيح عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال له « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله » وقال الإمام أحمد حدثنا بكر بن عيسى حدثنا أبو عوانة عن أبي بلخ عن عمرو بن ميمون قال : قال أبو هريرة قال لي رسول الله ﷺ « يا أبا هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة تحت العرش ؟ » قال : قلت فذاك أبي وأمي قال « أن تقول لا قوة إلا بالله » قال أبو بلخ وأحسب أنه قال « فان الله يقول أسلم عبدي واستسلم » قال فقلت لعمرو قال أبو بلخ قال عمرو قلت لأبي هريرة لا حول ولا قوة إلا بالله فقال لا إنها في سورة الكهف (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) وقوله (فمسي ربى أن يؤتينا خيرا من جنتك) أي في الدار الآخرة (ويرسل عليها) أي على جنتك في الدنيا التي ظننت أنها لا تبيد ولا تفتن (حسبان من السماء) قال ابن عباس والضحاك وقتادة ومالك عن الزهري أي عذابا من السماء والظاهر أنه مطر عظيم مزعج يقلع زرعها وأشجارها ولهذا قال (فتصبح صعيدا زلقا) أي بلقعا ترابا أملس لا يثبت فيه قدم وقال ابن عباس كالجرز الذي لا ينبت شيئا وقوله (أو يصبح ماؤها غورا) أي غائرا في الأرض وهو ضد النابح الذي يطلب وجه الأرض فالغائر يطلب أسفلها كما قال تعالى (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتهم بما معين) أي جار وسأج وقال ههنا (أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا) والغور مصدر بمعنى غائر وهو أبلغ منه كما قال الشاعر :

تظل جياده نوحا عليه * تقلده أعتها صفوفا
بمعنى نائمات عليه

﴿ وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا * هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ نَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾

يقول تعالى (وأحيط بشمره) بأمواله أو بثاره على القول الآخر والقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما خوفه به المؤمن من إرسال الحساب على جنته التي اغتربها وألمته عن الله عز وجل (فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها) وقال قتادة يصفق كفيه متأسفا متلهفا على الأموال التي أذهبها عليها (ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا * ولم تكن له فئة) أي عشيرة أو ولد كما افتخر بهم واستعز (ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا * هنالك الولاية لله الحق) اختلف القراء ههنا فمنهم من يقف على قوله (وما كان منتصرا هنالك) أي في ذلك الموطن الذي حل به عذاب الله فلا منقذ له منه ويبتدىء بقوله (الولاية لله الحق) ومنهم من يقف على (وما كان منتصرا) ويبتدىء بقوله (هنالك الولاية لله الحق) ثم اختلفوا في قراءة الولاية فمنهم من فتح الواو من الولاية فيكون المعنى هنالك للولاية لله أي هنالك كل أحد مؤمن أو كافر يرجع إلى الله وإلى مولاته والخضوع له إذا وقع العذاب كقوله (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به

وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال ابن جريج وقال عطاء بن أبي رباح مثل ذلك ، وقال مجاهد : البايات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة في قوله (والبايات الصالحات) قال لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله ، هن البايات الصالحات ، قال ابن جرير : وجدت في كتابي عن الحسن بن الصباح البزاز عن أبي نصر التمار عن عبد العزيز بن مسلم عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن البايات الصالحات » قال وحدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « استكثروا من البايات الصالحات » قيل وما هن يا رسول الله ؟ قال « الملة » قيل وما هي يا رسول الله ؟ قال « التكبير والتهيل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله » وهكذا رواه أحمد من حديث دراج به

قال وهب أخبرني أبو صخر أن عبد الله بن عبد الرحمن مولى سالم بن عبد الله حدثه قال : أرسلني سالم إلى محمد بن كعب القرظي في حاجة فقال قل له القى عند زاوية القبر فإن لي إليك حاجة قال فالتقيا فسلم أحدهما على الآخر ثم قال سالم ماتعد البايات الصالحات ؟ فقال لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال له سالم : متى جعلت فيها لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ قال : ما زلت أجعلها قال فراجعه مرتين أو ثلاثاً فلم ينزع قال فأبيت ؟ قال سالم أجل فأبيت فإن أبا أيوب الأنصاري حدثني أنه سمع رسول الله ﷺ وهو يقول « عرج بي إلى السماء فرأيت إبراهيم عليه السلام فقال يا جبريل من هذا الذي معك ؟ فقال محمد فرحب بي وسهل ثم قال مرأيتك فلتكثر من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة فقلت وما غراس الجنة فقال لا حول ولا قوة إلا بالله »

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن يزيد عن العوام حدثني رجل من الأنصار من آل النعمان بن بشير قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في المسجد بعد صلاة العشاء فرفع بصره إلى السماء ثم خفض حتى ظننا أنه قد حدث في السماء شيء ثم قال : « أما إنه سيكون بعدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم ومالأهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعاملهم على ظلمهم فهو مني وأنا منهم . ألا وإن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن البايات الصالحات . »

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبان حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد عن أبي سلام عن مولى لرسول الله ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج نخس ما أثقلهن في الميزان : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده - وقال - يخرج نخس من لقي الله مستيقنا بهم دخل الجنة : يؤمن بالله واليوم الآخر وبالجنة والنار وبالبعث بعد الموت وبالحساب » وقال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : كان شداد بن أوس رضى الله عنه في سفر فنزل منزلاً فقال لغلامه اثنتا عشرة نعبت بها فأنكرت عليه فقال ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها غير كلمتي هذه فلا تحفظوها على واحفظوا ما أقول لكم : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكثروا أتم هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك ، وأسألك حسن عبادتك ، وأسألك قلباً سليماً ، وأسألك لساناً صادقاً ، وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب » ثم رواه أيضاً النسائي من وجه آخر عن شداد بنحوه . وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا محمد بن سعد العوفي حدثني أبي حدثنا عمر بن الحسين عن يونس بن نفع الجدي عن سعد بن جنادة رضى الله عنه قال : كنت في أول من أتى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الطائف فخرجت من أعلى الطائف من السراة غدوة فأبيت مني عند العصر فتصاعدت في الجبل ثم هبطت فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمت وعلمني (قل هو الله أحد) و (إذا زلزلت) وعلمني هؤلاء الكلمات : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

وقال « هن الباقيات الصالحات » وبهذا الإسناد « من قام من الليل فتوضأ ومضمض فاه ثم قال سبحان الله مائة مرة والحمد لله مائة مرة والله أكبر مائة مرة ولا إله إلا الله مائة مرة غفرت ذنوبه إلا الدماء فانها لا تبطل » وقال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (والباقيات الصالحات) قال هي ذكر الله قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله وتبارك الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله وصلى الله على رسول الله والصيام والصلاة والحج والصدقة والعتق والجهاد والصلة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض . وقال العوفي عن ابن عباس : هي الكلام الطيب . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هي الأعمال الصالحة كلها واختاره ابن جرير رحمه الله

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا * وَوَضِعُ الْكِتَابِ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

يخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظام كما قال تعالى : (يوم تمور السماء مورا * وتسير الجبال سيرا) أي تذهب من أماكنها وتزول كما قال تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) وقال تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وقال (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً * فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) يذكر تعالى أنه تذهب الجبال وتتساوى المساد وتبقى الأرض قاعاً صفصفاً أي سطحاً مستويا لا عوج فيه ولا أمتا أي لا وادي ولا جبل ولهذا قال تعالى (وترى الأرض بارزة) أي بادية ظاهرة ليس فيها معلم لأحد ولا مكان يوارى أحدا بل الخلق كلهم ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافية . قال مجاهد وقتادة (وترى الأرض بارزة) لا حجر فيها ولا غيابة قال قتادة : لا بناء ولا شجر . وقوله (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) أي وجمعناهم الأولين منهم والآخرين فلم تترك منهم أحدا لا صغيرا ولا كبيرا كما قال (قل إن الأولين والآخرين لمجوعون إلى ميقات يوم معلوم) وقال (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وقوله (وعرضوا على ربك صفا) يحتمل أن يكون المراد أن جميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفا واحدا كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) ويحتمل أنهم يقومون صفوفا صفوفا كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) وقوله (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) هذا تقريع للمكبرين للمعاد ، وتوبيخ لهم على رؤوس الأشهاد ، ولهذا قال تعالى مخاطبا لهم (بل زعتم أن لن نجعل لكم موعدا) أي ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم ولا أن هذا كائن وقوله (ووضع الكتاب) أي كتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير والقتيل والقطمير والصغير والكبير (فترى المجرمين مشفقين مما فيه) أي من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة (ويقولون يا ويلتنا) أي يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمارنا (ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) أي لا يترك ذنبا صغيرا ولا كبيرا ولا عملا وإن صغر إلا أحصاها أي ضبطها وحفظها . وروى الطبراني بإسناده المتقدم في الآية قبلها إلى سعد بن جنادة قال لما فرغ رسول الله ﷺ من عزوة حنين نزلنا قفرا من الأرض ليس فيه شيء فقال النبي ﷺ « اجمعوا من وجد عودا فليات به ومن وجد حطبا أو شيئا فليات به » قال فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاما فقال النبي ﷺ « أترون هذا ؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا فليقتل الله رجل ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة فانها محصاة عليه » وقوله (ووجدوا ما عملوا حاضرا) أي من خير وشر كما قال تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) الآية

وقال تعالى (يَبْنِى الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) وقال تعالى (يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ) أى تظهر الخبائث والضمائر. قال الإمام أحمد حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به » أخرجاه في الصحيحين وفي لفظ « يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدرته يقال هذه غدره فلان بن فلان » وقوله (ولا يظلم ربك أحدا) أى فيحك بين عباده في أعمالهم جميعا ولا يظلم أحدا من خلقه بل يعفو ويصفح ويفر ويرحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله ويملا النار من الكفار وأصحاب المعاصى ثم ينجي أصحاب المعاصى ويخلد فيها الكافرين وهو الحاكم الذى لا يجوز ولا يظلم قال تعالى (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها) الآية : وقال (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا - إلى قوله - حاسبين) والآيات في هذا كثيرة وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد السكى عن عبد الله بن محمد ابن عقيل أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : بلغنى حديث عن رجل سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فاشترت بهيرا ثم شددت عليه رحلا فسرت عليه شهرا حتى قدمت عليه الشام فإذا عبد الله بن أنيس قفلت للبواب قل له جابر طى الباب فقال ابن عبد الله قلت نعم فخرج يظأ ثوبه فاعتنقتى واعتنقته فقلت حديث بلغنى عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعته فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة - أو قال العباد - عراة غرلا بهما » قلت وما بهما ؟ قال « ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند رجل من أهل النار حق حتى أقضيه منه حتى اللطمة قال : قلنا كيف وإنما نأتى الله عز وجل حفاة عراة غرلا بهما ؟ قال : « بالحسنات والسيئات » وعن شعبة عن العوام بن مزاحم عن أنى عثمان بن عفان عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة » رواه عبد الله بن الإمام أحمد وله شواهد من وجوه أخر وقد ذكرناها عند قوله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) وعند قوله تعالى (إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون)

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُهُ وَنُذْرِيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾

يقول تعالى منها بنى آدم على عدواة إبليس لهم ولأبيهم من قبلهم ومقرعا لمن اتبعه منهم وخالف خالقه ومولاه وهو الذى أنشأه وابتداه، وبألطافه رزقه وغذاه، ثم بعد هذا كله والى إبليس وعادى الله، فقال تعالى (وإذ قلنا للملائكة) أى لجميع الملائكة كما تقدم تقديره في أول سورة البقرة (اسجدوا لآدم) أى سجود تشریف وتكريم وتعظيم كما قال تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) وقوله (فسجدوا إلا إبليس كان من الجن) أى خانه أصله فإنه خلق من نار وأصل خلق الملائكة من نور كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال « خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من نار وخلق آدم مما وصف لكم فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه وخانه الطبع عند الحاجة وذلك أنه كان قد توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك فلهدا دخل في خطابهم وعصى بالخالفه » ونبه تعالى هنا على أنه من الجن أى على أنه خلق من نار كما قال (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) قال الحسن البصرى ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط وإنه لأصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل البشر رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه ، وقال الضحاك عن ابن عباس : كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم

الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان اسمه الحارث وكان خازنا من خزان الجنة وخلقت الملائكة من نور غير هذا الحى قال وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من نار وهو لسان النار الذى يكون في طرفها إذا التهب وقال الضحاك أيضا عن ابن عباس كان إبليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الأرض وكان محاسن له نفسه من قضاء الله أنه رأى أن له بذلك شرفا على أهل السماء فوق من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله واستخرج الله ذلك الكبر منه حين أمره بالسجود لآدم (فاستكبر وكان من الكافرين) قال ابن عباس قوله (كان من الجن) أى من خزان الجنان كما يقال للرجل مكى ومدنى وبصرى وكوفى وقال ابن جريج عن ابن عباس نحو ذلك ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال هو من خزان الجنة وكان يدبر أمر السماء الدنيا رواه ابن جرير من حديث الأعمش عن جيب بن أبى ثابت عن سعيد به ، وقال سعيد بن المسيب كان رئيس ملائكة سماء الدنيا ، وقال ابن إسحق عن خلاد بن عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال : كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الأرض وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما فذلك دعاه إلى الكبر وكان من حى يسمون جنا . وقال ابن جريج عن صالح مولى التوأمة وشريك بن أبى نمر أحدهما أو كلاهما عن ابن عباس قال إن من الملائكة قبيلة من الجن وكان إبليس منها وكان يسوس ما بين السماء والأرض فعصى فسخط الله عليه فسخه شيطانا رجيا لعنه الله ممسوخا قال وإذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجه وإذا كانت في معصية فارجه ، وعن سعيد بن جبير أنه قال كان من الجنان الذين يعملون في الجنة وقد روى في هذا آثار كثيرة عن السلف وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذى بأيدينا وفي القرآن غنية عن كل ما عده من الأخبار المقدمة لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان وقد وضع فيها أشياء كثيرة وليس لهم من الحفاظ المتقين الذين ينفون عنها تحريف الغالين واتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة والأتقياء والبررة والنجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث وحرروه وبيّنوا ضحيجه من حسنه من ضعيفه من منكروه وموضوعه ومتروكه ومكذوبه وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين وغير ذلك من أصناف الرجال كل ذلك صيانة للجناب النبوى والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم أن ينسب إليه كذب أو يحدث عنه بما ليس منه فرضى الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل ، وقوله (فسق عن أمر ربه) أى فخرج عن طاعة الله فإن الفسق هو الخروج يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من أكامها وفسقت الفأرة من جحرها إذا خرجت منه للعث والفساد ثم قال تعالى مقرا وموبخا لمن اتبعه وأطاعه (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني) الآية أى بدلا عنى ولهذا قال (بئس للظالمين بدلا) وهذا المقام كقوله بعد ذكر القيامة وأهوالها ومصير كل من الفريقين السعداء والأشقياء في سورة يس (وامتازوا اليوم أيها المجرمون - إلى قوله - أفلم تكونوا تعقلون)

﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾

يقول تعالى هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من دوني عبيد أمثالكم لا يملكون شيئا ولا أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا كانوا إذ ذاك موجودين ، يقول تعالى أنا المستقل بخلق الأشياء كلها ومدبرها ومقدرها وحدي ليس معى في ذلك شريك ولا وزير ولا مشير ولا نظير كما قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير* ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) الآية ولهذا قال (وما كنت متخذ المضلين عضدا) قال مالك : أعوانا

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا * وَرَاءَ

﴿ الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾

يقول تعالى مخبراً عما يخاطب به المشركين يوم القيامة على رؤوس الأشهاد تقريباً لهم وتوبيخاً (نادوا شركائهم الذين زعمتم) أى فى دار الدنيا ادعوهم اليوم ينقدونكم مما أتمم فيه كما قال تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتهم ما حولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وصل عنكم ما كنتم تزعمون) وقوله (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) كما قال (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) الآية ، وقال (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) الآيتين وقال تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) وقوله (وجعلنا بينهم موبقا) قال ابن عباس وقناة وغير واحد مهلكا ، وقال قتادة ذكر لنا أن عمرا البكالى حدث عن عبدالله بن عمرو قال هو واد عميق فرق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة وقال قتادة: موبقا واديا فى جهنم

وقال ابن جرير حدثني محمد بن سنان القزاز حدثنا عبد الصمد حدثنا يزيد بن زريع سمعت أنس بن مالك يقول فى قول الله تعالى (وجعلنا بينهم موبقا) قال واد فى جهنم من قيح ودم ، وقال الحسن البصرى موبقا عداوة والظاهر من السياق ههنا أنه المهلك ويجوز أن يكون واديا فى جهنم أو غيره والمعنى أن الله تعالى بين أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم إلى آلهتهم التى كانوا يزعمون فى الدنيا وأنه يفرق بينهم وبينها فى الآخرة فلا خلاص لأحد من الفريقين إلى الآخر بل بينهما مهلك وهول عظيم وأمر كبير . وأما إن جعل الضمير فى قوله بينهم عائدا إلى المؤمنين والكافرين كما قال عبد الله بن عمرو إنه يفرق بين أهل الهدى والضلالة به فهو كقوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يفرقون) وقال (يومئذ يصعدون) وقال تعالى (وامتنازوا اليوم أيها المجرمون) وقال تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم - إلى قوله - وصل عنهم ما كانوا يفترون) وقوله (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا) أى أنهم لما عاينوا جهنم حين جىء بها تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك (فإذا رأى المجرمون النار) تحققوا لاحتمال أنهم مواقعوها ليكون ذلك من باب تعجيل الهم والحزن لهم فان توقع العذاب والخوف منه قبل وقوعه عذاب ناجز وقوله (ولم يجدوا عنها مصرفا) أى ليس لهم طريق يعدل بهم عنها ولا بد لهم منها . قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الكافر ليرى جهنم فيظن أنها واقعة من مسيرة أربعين سنة » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ ينصب الكافر مقدار خمسين ألف سنة كما لم يعمل فى الدنيا وإن الكافر ليرى جهنم ويظن أنها واقعة من مسيرة أربعين سنة »

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾

يقول تعالى ولقد بينا للناس فى هذا القرآن ووضعنا لهم الأمور وفصلناها كيلا يضلوا عن الحق ويخرجوا عن طريق الهدى ومع هذا البيان وهذا الفرقان الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق بالباطل إلا من هدى الله وبصره . لطريق النجاة . قال الإمام أحمد حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني علي بن الحسين أن حسين بن علي أخبره أن علي بن أبي طالب أخبره أن رسول الله ﷺ طرقة وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلة فقال « ألا تصليان » فقالت يارسول الله إنما أنفستنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلى شيئا ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه ويقول (وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) أخرجاه فى الصحيحين .

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا * وَمَا نُزِّلَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمِجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ لِيُذْحَضُوا بِهِ الْحَقُّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوعًا ﴾

يخبر تعالى عن تمرد الكفرة في قديم الزمان وحديثه وتكذيبهم بالحق البين الظاهر مع ما يشاهدون من الآيات والدلالات الواضحات وأنه مامنهم من اتباع ذلك إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذي وعدوا به عياناً كما قال أولئك لنبيهم (فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين) وآخرون قالوا (ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) وقالت قریش (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) (وقالوا يا أيها الذي نزل عليك الذكر إنك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك ثم قال (إلا أن تأتيهم سنة الأولين) من غشيانهم بالعذاب وأخذهم عن آخرهم (أو يأتيهم العذاب قبلاً) أي يرونه عياناً مواجهة ومقابلة ثم قال تعالى (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) أي قبل العذاب مبشرين من صدقهم وآمن بهم ومنذرين لمن كذبهم وخالفهم ثم أخبر عن الكفار بأنهم (يجادلون بالباطل ليدحضوا به) أي ليضعفوا به الحق الذي جاءتهم به الرسل وليس ذلك بحاصل لهم (واتخذوا آياتي وما أُنذروا هزواً أي اتخذوا الحجج والبراهين وخوارق العادات التي بعث بها الرسل وما أُنذروهم وخوفوهم به من العذاب (هزواً) أي سخروا منهم في ذلك وهو أشد التكذيب

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاہُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا * وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِلًا * وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾

يقوله تعالى وأي عباد الله ممن ذكر آيات الله فأعرض عنها أي تناساها وأعرض عنها ولم يصغ لها ولا ألقى إليها بالا (ونسى ما قدمت يداها) أي من الأعمال السيئة والأعمال القبيحة (إنا جعلنا على قلوبهم) أي قلوب هؤلاء (أكنة) أي أغطية وغشاوة (أن يفقهوه) أي لئلا يفهموا هذا القرآن والبيان (وفي آذانهم وقراً) أي صمما معنوياً عن الرشد (وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا) وقوله (وربك الغفور ذو الرحمة) أي ربك يا محمد غفور ذو رحمة واسعة (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) كما قال (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) وقال (وإن ربك لندو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب) والآيات في هذا كثيرة شتى ثم أخبر أنه يعلم ويستروى نافرور بما هدى بعضهم من النعي إلى الرشد ومن استمر منهم فله يوم يشيب فيه الوليد وتضع كل ذات حمل حملها ، ولهذا قال (بل لهم موعد لئن يجدوا من دونه موثلاً) أي ليس لهم عنه محيص ولا محيد ولا معدل وقوله (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا) أي الأمم السالفة والقرون الحالية أهلكناهم بسبب كفرهم وعنادهم (وجعلنا لمهلكهم موعداً) أي جعلناه إلى مدة معلومة ووقت معين لا يزيد ولا ينقص أي وكذلك أتم أيها المشركون اخذوا أن يصيبكم ما أصابهم فقد كذبتم أشرف رسول وأعظم نبي ولستم بأعز علينا منهم فخافوا عذابي ونذري

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْصِيَ حُقُبًا فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا

حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً * فلما جاوزا قال لفته اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً * قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسنيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً * قال ذلك ما كنا نبغ فارتداً على آثارهما قصصاً * فوجدنا عبداً من عبادنا آتئنه رحمة من عندنا وعلمته من لدنا علماً ﴿

سبب قول موسى لفته وهو يوشع بن نون هذا الكلام أنه ذكر له أن عبداً من عباد الله بجمع البحرين عنده من العلم ما لم يحط به موسى فأحب الرحيل إليه وقال لفته ذلك (لا أبرح) أي لأزال ساثراً (حتى أبلغ مجمع البحرين) أي هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين . قال الفرزدق : فما برحوا حتى تهادت نسائهم * يطحاء ذى قار عياب اللطائم * قال قتادة وغير واحد : هما بحر فارس مما يلي المشرق وبحر الروم مما يلي المغرب ، وقال محمد بن كعب القرظي مجمع البحرين عند طنجة يعني في أقصى بلاد المغرب فالله أعلم ، وقوله (أو أمضى حقبا) أي ولو أني أسير حقبا من الزمان قال ابن جرير رحمه الله ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن الحقب في لغة قيس سنة ثم قد روى عن عبد الله ابن عمرو أنه قال الحقب ثمانون سنة ، وقال مجاهد سبعون خريفاً ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (أو أمضى حقبا) قال دهر ، وقال قتادة وابن زيد مثل ذلك . وقوله (فلما بلغنا مجمع بينهما نسيا حوتهما) وذلك أنه كان قد أمر بحمل حوت مملوح معه وقيل له متى فقدت الحوت فهو ثمة فساروا حتى بلغا مجمع البحرين وهناك عين يقال لها عين الحياة فناما هنالك وأصاب الحوت من رشاش ذلك الماء فاضطرب وكان في مكنتل مع يوشع عليه السلام وطفر من المكنتل إلى البحر فاستيقظ يوشع عليه السلام وسقط الحوت في البحر فجل يسير في الماء والماء له مثل الطاق لا يلتم بعده ، ولهذا قال تعالى (واتخذ سبيله في البحر سرباً) أي مثل السرب في الأرض قال ابن جريج قال ابن عباس صار أثره كأنه حجر . وقال العوفي عن ابن عباس جعل الحوت لايمس شيئاً من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة وقال محمد بن إسحق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر حديث ذلك ما انجاب ماء منذ كان الناس غير مسير مكان الحوت الذي فيه فانجاب كالسكوة حتى رجع إليه موسى فرأى مسلكه فقال (ذلك ما كنا نبغي) وقال قتادة سرب من البحر حتى أفضى إلى البحر ثم سلك فيه فجعل لايسلك فيه طريقاً إلا صار ماء جامداً وقوله (فلما جاوزا) أي المكان الذي نسيا الحوت فيه ونسب النسيان إليهم وإن كان يوشع هو الذي نسيه كقوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وإنما يخرج من الملح على أحد القولين فلما ذهب عن المكان الذي نسيه فيه بمرحلة (قال) موسى (لفته اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا) أي الذي جاوزا فيه المكان (نصباً) يعني تعبا (قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسنيه إلا الشيطان أن أذكره) قال قتادة وقرأ ابن مسعود أن أذكره ولهذا قال (فاتخذ سبيله) أي طريقه (في البحر عجباً قال ذلك ما كنا نبغي) أي هذا هو الذي نطلب (فارتداً) أي رجعا (على آثارهما) أي طريقهما (قصصاً) أي يقصان آثار مشيها ويقفوان أثرهما (فوجدنا عبداً من عبادنا آتئنه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً) وهذا هو الحضر عليه السلام كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ . قال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرني سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس إن نوحاً البكالي يزعم أن موسى صاحب الحضر عليه السلام ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل . قال ابن عباس كذب عدو الله ، حدثنا أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسل أي الناس أعلم ؟ قال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه إن لي عبداً بجمع البحرين هو أعلم منك . قال موسى : يارب وكيف لي به ؟ قال تأخذ معك حوتاً فتجعله بمكنتل فحيماً فقدت

الحوت فهو ثم فأخذ حوتنا فجعله بمكثل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون عليه السلام حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما واضطرب الحوت في المكثل فخرج منه فسقط في البحر فانخذ سيبله في البحر سربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليتهدما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه (آتتا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) ولم يجد موسى النصب حتى جاوز السكان الذي أمره الله به ، قال له فتاه (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سيبله في البحر عجبا) قال فكان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا ، فقال (ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا) قال فرجما يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الحضر وأنى بأرضك السلام . فقال أنا موسى . فقال موسى بن إسرائيل ؟ قال نعم قال أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا (قال إنك لن تستطيع معي صبرا) يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمكه الله لأعلمه . فقال موسى (ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا) قال له الحضر (فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا) فانطلقا يمسيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكاوهم أن يحاومهم فعرفوا الحضر فحملوهم بغير نول ، فلما ركبا في السفينة لم ينجأ إلا والحضر قد قاع لوحا من ألواح السفينة بالقدم ، فقال له موسى قد حملونا بغير نول فعمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها ؟ لقد جئت شيئا إمرأ (قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا ؟ قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا) قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم - فكانت الأولى من موسى نسياناً قال وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين فقال له الحضر : ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما تمص هذا العصفور من هذا البحر . ثم خرجا من السفينة فبينهما يمسيان على الساحل إذ أبصر الحضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الحضر رأسه فاقبله بيده فقتله فقال له موسى (أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا) قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا) قال وهذه أشد من الأولى ، (قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) أي مانلا فقال الحضر بيده (فأقامه) فقال موسى : قوم أتيانهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا (اوشئت لا اتخذت عليه أجرا ، قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وددنا أن موسى كان صبرا حتى يقص الله علينا من خبرها » قال سعيد بن جبير : كان ابن عباس يقرأ (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) وكان يقرأ (وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين) ثم رواه البخاري عن قتبية عن سفيان بن عيينة فذكر نحوه وفيه فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون ومعهما الحوت حتى انتهيا إلى الصخرة فنزلا عندها قال فوضع موسى رأسه فنام ، قال سفيان وفي حديث عن عمرو قال وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حي فأصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكثل فدخل البحر ، فلما استيقظ قال موسى لفتاه (آتتا غداءنا) قال وساق الحديث ووقع عصفور على حرف السفينة فعمس منقاره في البحر فقال الحضر لموسى ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما عمس هذا العصفور منقاره وذكر تمامه بنحوه وقال البخاري أيضا حدثنا إبراهيم ابن موسى حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال أخبرني يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار عن سعيد بن جبير يزيد أحدهما على صاحبه وغيرها قد سمعته يحدث عن سعيد بن جبير قال إنا لعند ابن عباس في بيته إذ قال سلوني فقلت أي أبعباس جعلني الله فداك بالكوفة رجل قاص يقال له نوف يزعم أنه ليس بموسى بن إسرائيل أما عمرو فقال لي قال كذب عدو الله وأما يعلى فقال لي قال ابن عباس حدثني أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « موسى رسول الله ذكر الناس يوما حتى إذا فاوضت العيون ورقت القلوب ولي ، فأذكر كرجل فقال أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك ؟ قال لا : فغضب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله ، قيل بلى قال أي رب ، وأين ؟ قال بجمع البحرين ، قال أي رب اجعل لي علما

أعلم ذلك به . قال لي عمرو قال حيث يفارقك الحوت وقال لي يعلى خذ حوتاميتا حيث ينفخ فيه الروح فأخذ حوتافجعله في مكمل فقال لفتاه لأ كلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت قال ما كلفت كبيراً فذلك قوله (وإذ قال موسى لفتاه) يوشع بن نون ليست عند سعيد بن جبير قال فينا هو في ظل صخرة في مكان ثريان إذ يضرب الحوت وموسى نائم فقال فتاه لأوقظة حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره ويضرب الحوت حتى دخل في البحر فأمسك الله عنه جرية الماء حتى كأن أثره في حجر قال : فقال لي عمرو هكذا كأن أثره في حجر وحلق بين إبهاميه واللتين تليهما قال (لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً) قال وقد قطع الله عنك النصب ليست هذه عند سعيد بن جبير أخبره فرجعا فوجدنا خضرا قال : قال عثمان بن أبي سليمان على طنفسة خضراء على كبد البحر قال سعيد بن جبير مسجى بثوب قد جعل طرفه تحت رجله وطرفه تحت رأسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه وقال هل بأرضي من سلام ؟ من أنت ؟ قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل ؟ قال نعم قال فما شأنك ؟ قال : جئتكم لتعلمني بما علمت رشدا قال أما يكفيك أن التوراة بيديك وأن الوحي يأتيك يا موسى إن لي علما لا ينبغي لك أن تعلمه وإن لك علما لا ينبغي لي أن أعلمه فأخذ طائر بمنقاره من البحر فقال والله ما علمي وعلمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر حتى إذا ركبا في السفينة وجدنا معا برصغارا تحمل أهل هذا الساحل إلى هذا الساحل الآخر عرفوه فقالوا عبد الله الصالح قال قتلنا لسعيد بن جبير خضر قال نعم لأنحمله بأجر فخرقها ووتد فيها وتدا قال موسى (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرأ) قال مجاهد منكر قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا كانت الأولى نسيانا والثانية شرطا والثالثة عمدا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فانطلقا حتى لقيا غلاما فقتله قال يعلى قال سعيد وجد غلاما يبعون فأخذ غلاما كافرا ظريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين فقال أقتلت نفسا زكية لم تعمل الحنث وابن عباس قرأها زكية زكية مسلمة كقولك غلاما زكيا فانطلقا فوجدا جدرا يريد أن يتقص فأقامه قال يده هكذا ودفع يده فاستقام قال لوشئت لا تخذت عليه أجرا قال يعلى حسبت أن سعيدا قال فسحبه يده فاستقام قال لوشئت لا تخذت عليه أجرا قال سعيد أجرا نأ كله وكان وراءهم ملك وكان أمامهم قرأها ابن عباس أمامهم ملك يزعمون عن غير سعيد انه هدد بن برد والعلام المقتول اسمه يزعمون حيسور ملك يأخذ كل سفينة غصبا فأردت إذا هي مرت به أن يدعها بعينها فاذا جاوزوا أصلحوها فانتفخوا بها منهم من يقول سدوها بقارورة ومنهم من يقول بالقار كان أبواه مؤمنين وكان هو كافرا فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا أن يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه فأردنا أن يبدلهماربهما خيرا منه زكاة كقوله (أقتلت نفسا زكية) وقوله (وأقرب رحما) هاباه أرحم منهما بالأول الذي قتل خضر وزعم غير سعيد بن جبير انها أهدى وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير واحد انها جارية وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبي إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خطب موسى عليه السلام بنى إسرائيل فقال ما أحد أعلم بالله وبأمره مني فأمر أن يلقى هذا الرجل فدكر نحو ما تقدم بزيادة وتقصان والله أعلم وقال محمد بن إسحق عن الحسن بن عمار عن الحكم بن عتيبة عن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا أبا العباس إن نوحا بن امرأة كعب يزعم عن كعب أن موسى النبي الذي طلب العلم إنما هو موسى بن ميثا ، قال سعيد فقال ابن عباس أنوف يقول هذا ياسعيد ؟ فقلت له نعم أنا سمعت نوحا يقول ذلك قال أنت سمعته ياسعيد قال قلت نعم قال كذب نوح . ثم قال ابن عباس حدثني أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موسى بنى إسرائيل سأل ربه فقال أي رب إن كان في عبادك أحد هو أعلم مني فدلتني عليه فقال له نعم في عبادي من هو أعلم منك ثم نعت له مكانه وأذن له في لقيه ، فخرج موسى ومعه فتاه ومعه حوت مليح قد قيل له إذا حي هذا الحوت في مكان فصاحبك هنالك وقد أدركت حاجتك فخرج موسى ومعه فتاه ومعه ذلك الحوت يحملانه فسار حتى جهده السير وانتهى إلى الصخرة وإلى ذلك الماء وذلك الماء ماء الحياة من شرب منه خلد ولا يقارنه شيء ميت إلا حي فلما نزلوا ومس الحوت الماء حي فأخذ سبيله في البحر سربا فانطلقا فلما جاوزا النقلة قال موسى لفتاه آتنا غدانا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ، قال الفتى وذكر رأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت

وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجا ، قال ابن عباس فظهر موسى على الصخرة حتى إذا انتهيا إليها فإذا رجل متلفف في كساء له فسلم موسى عليه فرد عليه السلام ثم قال له ما جاء بك إن كان لك في قومك لشغل قال له موسى جئت لتعلمي مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكان رجلا يعلم علم الغيب قد علم ذلك فقال موسى بلى قال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أى إنما تعرف ظاهر ما ترى من العدل ولم تحط من علم الغيب بما أعلم (قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا) وإن رأيت ما يخالفني ، قال (فان اتبعني فلا تسألني عن شيء) وإن أنكرته (حتى أحدث لك منه ذكرا) فانطلق يمسيان على ساحل البحر يعرضان الناس يلتمسان من يحملهما حتى مرت بهما سفينة جديدة وثيقة لم يمر بهما من السفن شيء أحسن ولا أجمل ولا أوثق منها فسأل أهلها أن يحملوهما فحملوهما فلما اطمأنا فيها ولجت بهما مع أهلها أخرج منقارآله ومطرقة ثم عمد إلى ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتى خرقتها ثم أخذ لocha فطبقه عليها ثم جلس عليها يرقعها فقال له موسى ورأى أمرا أظن به (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا * قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا * قال لا تؤاخذني بما نسيت) أى بما تركت من عهدك (ولا ترهقني من أمري عسرا) ثم خرجا من السفينة فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية فإذا غلمان يلعبون خلفها فيهم غلام ليس في الغلمان غلام أظرف منه ولا أترى ولا أوضأ منه فأخذه بيده وأخذ حجرا فصر به رأسه حتى دمهغه فقتله ، قال فرأى موسى أمرا فظيحا لا صبر عليه ، صبي صغير قتله لا ذنب له قال (أتلت نفسا زكية) أى صغيرة (بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا * قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا * قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) أى قد أعذرت في شأني (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) فهدمه ثم قعد بينيه ، فضجر موسى مما يراه يصنع من التكليف وما ليس عليه صبر فأقامه قال (لو شئت لاتخذت عليه أجرا) أى قد استطعناهم فلم يطعمونا وضمناهم فلم يضيفونا ثم قعدت تعمل من غير صنيعه ولو شئت لأعطيت عليه أجرا في عمله ، قال (هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا * أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) وفي قراءة أبي بن كعب (كل سفينة سالحة) وإنما عيبها لأرده عنها فسلمت منه حين رأى العيب الذي صنعت بها ، وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما ، وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري) أى ما فعلته عن نفسي (ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا) فكان ابن عباس يقول ما كان الكنز إلا علما ، وقال العوفي عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه مصر فلما استقرت بهم الدار أنزل الله أن ذكرهم بأيام الله فخطب قومه فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعمة وذكرهم إذ نجاهم الله من آل فرعون وذكرهم هلاك عدوهم وما استخلفهم الله في الأرض وقال كلم الله نبيكم تسليما واصطفاني لنفسه وأنزل على محبة منه وآتاكم الله من كل ما سألتموه فنيبكم أفضل أهل الأرض وأتم تفرغون التوراة فلم يترك نعمة أنعم الله عليهم إلا وعرفهم إياها . فقال له رجل من بني إسرائيل هم كذلك يا نبي الله قد عرفنا الذي تقول فهل على الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله ؟ قال لا . فبعث الله جبرائيل إلى موسى عليه السلام فقال إن الله يقول وما يدريك أين أضع على بلى ان لي على شط البحر رجلا هو أعلم منك . قال ابن عباس هو الخضر ، فسأل موسى ربه ان يريه إياه ، فأوحى إليه أن إئت البحر فإنك تجد على شط البحر حوتا فخذ فادفعه إلى فتاك ثم الزم شاطئ البحر فإذا نسيت الحوت وهلك منك فتمجد العبد الصالح الذي تطلب . فلما طال سفر موسى نبي الله ونصب فيه سأل فتاه عن الحوت ، فقال له فتاه وهو غلامه (رأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) لك ، قال الفتى لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله في البحر سربا فأعجب ذلك ، فرجع موسى حتى أتى الصخرة فوجد الحوت فجعل الحوت يضرب في البحر ويتبعه موسى وجعل

موسى يقدم عصاه يفرج بها عنه الماء يتبع الحوت وجعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا ييس عنه الماء حتى يكون صخرة فجعل نبي الله يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت جزيرة من جزائر البحر فلقى الحضير بها فسلم عليه فقال الحضير وعليك السلام ، وأنى يكون السلام بهذه الأرض ومن أنت ؟ قال أنا موسى . قال الحضير : صاحب بنى إسرائيل ؟ قال نعم فرحب به وقال ما جاء بك ؟ قال جئتكم (على أن تعلمنى مما علمت رشدا * قال إنك لن تستطيع معى صبرا) يقول لا تطيق ذلك قال (ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا) قال فانطلق به وقال له : لا تسألنى عن شىء أصنعه حتى أبين لك شأنه فذلك قوله (حتى أحدث لك منه ذكرا) وقال الزهرى عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزارى فى صاحب موسى فقال ابن عباس هو خضر فر بهما أفي بن كعب فدعا ابن عباس فقال إنى تماريت أنا وصاحبى هذا فى صاحب موسى الذى سئل السبيل إلى لقيه فهل سمعت رسول الله ﷺ يذكر شأنه قال إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بينا موسى فى ملاء من بنى إسرائيل إذ جاءه رجل فقال تعلم مكان رجل أعلم منك ؟ قال لا ، فأوحى الله إلى موسى بلى عبدنا خضر فسأل موسى السبيل إلى لقيه فجعل الله له الحوت آية وقيل له إذا فقدت الحوت فارجع فانك ستلقاه فكان موسى يتبع أثر الحوت فى البحر فقال فى موسى لموسى رأيت إذ أوينا إلى الصخرة فأنى نسيت الحوت قال موسى (ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا) فوجدا عبدنا خضرا فكان من شأنهما ما قص الله فى كتابه

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا ، قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾

يخبر تعالى عن قيل موسى عليه السلام لذلك الرجل العالم وهو الحضير الذى خصه الله بعلم لم يطلع عليه موسى كما أنه أعطى موسى من العلم ما لم يعطه الحضير (قال له موسى هل أتبعك) سؤال تल्प لا على وجه الاكزام والاكبار وهكذا ينبغى أن يكون سؤال المتعلم من العالم وقوله (أتبعك) أى أصحابك وأراقفك (على أن تعلمن مما علمت رشدا) أى مما علمك الله شيئا أسترشد به فى أمرى من علم نافع وعمل صالح فعندها (قال) الحضير لموسى (إنك لن تستطيع معى صبرا) أى إنك لا تقدر على مصاحبتي لما ترى منى من الأفعال التى تخالف شريعتك لأنى على علم من علم الله ما علمك الله وأنت على علم من علم الله ما علمنيه الله فكل منا مكلف بأمر من الله دون صاحبه وأنت لا تقدر على صحبتي (وكيف تصبر على ما لم تحط به خيرا) فانا أعرف أنك ستتكبر على ما أنت معذور فيه ولكن ما اطلمت على حكمته ومصالحته الباطنة التى اطلمت أنا عليها دونك (قال) أى موسى (ستجدنى إن شاء الله صابرا) أى على ما أرى من أمورك (ولا أعصى لك أمرا) أى ولا أخالفك فى شىء فعند ذلك شارطه الحضير عليه السلام (قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء) أى ابتداء (حتى أحدث لك منه ذكرا) أى حتى أبدأك أنا به قبل أن تسألنى

قال ابن جرير حدثنا حميد بن جبير حدثنا يعقوب بن هارون عن عبيدة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال أى رب أى عبادك أحب إليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال أى رب أى عبادك أعلم قال الذى يتبعى علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى قال أى رب هل فى أرضك أحد أعلم منى قال نعم قال فمن هو ، قال الحضير قال وأين أطلبه ؟ قال على الساحل عند الصخرة التى ينفلت عندها الحوت قال فخرج موسى يطلبه حتى كان ما ذكر الله واتهى موسى إليه عند الصخرة فسلم كل واحد منهما على صاحبه فقال له موسى إنى أحب أصحابك قال إنك لن تطيق صحبتي قال بلى قال فان صحبتي (فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا) قال فسار به فى البحر حتى انتهى

إلى مجمع البحرين وليس في الأرض مكان أكثر ماء منه قال وبعث الله الحطاف فجعل يستقي منه بمنقاره فقال لموسى كم ترى هذا الحطاف رزاً من هذا الماء قال ما أقل مارزاً قال يا موسى فإن علمي وعلمك في علم الله كقدر ما استقي هذا الحطاف من هذا الماء وكان موسى قد حدث نفسه أنه ليس أحد أعلم منه أو تكلم به فمن ثم أمر أن يأتي الحضرود كتمام الحديث في خرق السفينة وقتل الغلام وإصلاح الجدار وتفسيره له ذلك .

﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا ﴾

يقول تعالى مخبراً عن موسى وصاحبه وهو الحضرماني انطلقا لما تواقفا واصطحبا واشترط عليه أن لا يسأله عن شيء أنكره حتى يكون هو الذي يبتدئه من تلقاء نفسه بشرحه ويأبى في السفينة وقد تقدم في الحديث كيف ركبوا في السفينة وأنهم عرفوا الحضرماني فحملوهما بغير نول يعني بغير أجره تكريماً للحضرماني فلما استقلت بهم السفينة في البحر ولجبت أي دخلت اللجة قام الحضرماني فخرقها واستخرج لوحاً من ألواحها ثم رقعها فلم يملك موسى عليه السلام نفسه أن قال منكراً عليه (أخرقتها لتغرق أهلها) وهذه اللام العاقبة للام التعليل كما قال الشاعر :

* لدوالموت وابنوا للخراب * (لقد جئت شيئاً إمراً) قال مجاهد منكراً وقال قتادة عجباً فندها قال له الحضرماني كذا بما تقدم من الشرط (ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً) يعني وهذا الصنيع فعلته قصداً وهو من الأمور التي اشترطت معك أن لا تنكر على فيها لأنك لم تحط بها خبراً ولما دخل هو مصلحة ولم تعلمه أنت (قال) أي موسى (لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً) أي لا تضيق علي ولا تشدد علي ولهذا تقدم في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال « كانت الأولى من موسى نسياناً »

﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَ غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾

يقول تعالى (فانطلقا) أي بعد ذلك (حتى إذا لقي غلاماً قتلته) وقد تقدم أنه كان يلعب مع الغلمان في قرية من القرى وأنه عمد إليه من بينهم وكان أحسنهم وأجملهم وأضوأهم قتلته ، وروى أنه احتز رأسه وقيل رضخه بحجر ، وفي رواية اقتلعه بيده والله أعلم فلما شاهد موسى عليه السلام هذا أنكره أشد من الأول وبادر فقال (أقتلت نفساً زكية) أي صغيرة لم تعمل الحنث ولا عملت إيماً بعد قتلته (بغير نفس) أي بغير مستند لقتله (لقد جئت شيئاً نكراً) أي ظاهر النكارة (قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً) فأكد أيضاً في التذكار بالشرط الأول فلماذا قاله موسى (إن سألتك عن شيء بعدها) أي إن اعترضت عليك بشيء بعد هذه المرة (فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً) أي قد أعذرت إلى مرة بعد مرة ، قال ابن جرير حدثنا عبد الله بن زياد حدثنا حجاج بن محمد عن حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال كان النبي ﷺ إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه فقال ذات يوم « رحمة الله علينا وعلى موسى لولبت مع صاحبه لأبصر العجب ولكنه قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً » مثقلة

﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَابُوا أَنْ يُصَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا قِرَاقُ بَيْتِي وَبَيْنَكَ سَائِدُكَ بِنَاوِيلٍ مَالٌ تَسْتَطِيعُ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾

يقول تعالى مخبراً عنهما إنهما (انطلقا) بعد المرتين الأوليين (حتى إذا أتيا أهل قرية) روى ابن جرير عن ابن سيرين

أنها الأبله ، وفي الحديث « حتى إذا أتيا أهل قريه لثاما » أى بخلاء (فأبوا أن يضيفوها فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض) إسناد الارادة ههنا إلى الجدار على سبيل الاستعارة فإن الارادة فى المحدثات بمعنى الميل والانتقاض هو السقوط ، وقوله (فأقامه) أى فرده إلى حالة الاستقامة ، وقد تقدم فى الحديث أنه رده بيديه ودعمه حتى ردميله وهذا خارق فعند ذلك قال موسى له (لو شئت لاتخذت عليه أجرآ) أى لأجل أنهم لم يضيفونا كان ينبغى أن لا تعمل لهم مجاناً (قال هذا فراق بينى وبينك) أى لأنك شرطت عند قتل الغلام أنك إن سألتنى عن شىء بعدها فلا تصاحبنى فهو فراق بينى وبينك (سأبتك بتأويل) أى بتفسير (ما لم تستطع عليه صبرا)

﴿ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾

هذا تفسير ما أشكل أمره على موسى عليه السلام وما كان أنكر ظاهره وقد أظهر الله الحضرة عليه السلام على حكمة باطنه فقال إن السفينة إنما خرقتها لأعيبها لأنهم كانوا يمرون بها على ملك من الظلمة (يأخذ كل سفينة) صالحة أى جيدة (غصبا) فأردت أن أعيبها لأرده عنها لعبها فينتفع بها أصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شىء ينتفعون به غيرها وقد قيل إنهم أيتام ، وروى ابن جريج عن وهب بن سلمان عن شعيب الجبائى أن اسم ذلك الملك هدد بن بدد وقد تقدم أيضاً فى رواية البخارى وهو المذكور فى التوراة فى ذرية العيص بن إسحاق وهو من الملوك المنصوص عليهم فى التوراة والله أعلم

﴿ وَأَمَّا الْفُلُّمُ فَكَانَ آبَاءَهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْا وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾

قد تقدم أن هذا الغلام كان اسمه حثور . وفى هذا الحديث عن عباس عن أبى بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الغلام الذى قتله الحضر طبع يوم طبع كافراً » رواه ابن جرير من حديث ابن إسحاق عن سعيد بن ابن عباس به ، ولهذا قال (فكان آبوا مؤمنين فخشنا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) أى يجعلهما حبه على متابته على الكفر ، قال قتادة قد فرح به آبوا حين ولد وحزننا عليه حين قتل ولو بقى لكان فيه هلاكهما فليرض امرؤ بقضاء الله فان قضاء الله للمؤمن فيما يكره خيره من قضاؤه فيما يحب وضح فى الحديث « لا يقضى الله لمؤمن قضاء إلا كان خيراً له » وقال تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) وقوله (فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً) أى ولداً أذكى من هذا وهما أرحم به منه قاله ابن جريج وقال قتادة أبروا الله وقد تقدم أنهما بدلا جارية. وقيل لما قتله الحضر كانت أمه حاملاً بغلام مسلم قاله ابن جريج

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾

فى هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة لأنه قال أولاً (حتى إذا أتيا أهل قرية) وقال ههنا (فكان لغلامين يتيمين فى المدينة) كما قال تعالى (فكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) يعنى مكة والطائف ومعنى الآية أن هذا الجدار إنما أصلحته لأنه كان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنزهما . قال عكرمة وقاتة وغير واحد كان تحته مال مدفون لهما وهو ظاهر السياق من الآية وهو اختيار ابن جرير رحمه الله ، وقال العوفى عن ابن عباس كان تحته كنز علم وكذا قال سعيد

ابن جبير ، وقال مجاهد صحف فيها علم ، وقد ورد في حديث مرفوع ما يقوى ذلك . قال حافظ أبو بكر أحمد بن عمرو ابن عبد الخالق البزار في مسنده المشهور حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا بشر بن المنذر حدثنا الحارث ابن عبد الله اليحصبي عن عياش بن عباس النسائي عن أبي حنيفة عن أبي ذر رفعه قال : إن الكنز الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب مصمت مكتوب فيه : عجبت لمن أيقن بالقدر لم نصب وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك وعجبت لمن ذكر الموت لم غفل لإله إلا الله محمد رسول الله . وبشر بن المنذر هذا يقال له قاضي المصيبة قال الحافظ أبو جعفر العقيلي في حديثه وهم وقد روى في هذا آثار عن السلف فقال ابن جرير في تفسيره حدثني يعقوب حدثنا الحسن بن حبيب ابن ندبة حدثنا سلمة عن نعيم العنبري وكان من جلساء الحسن قال : سمعت الحسن يعني البصري يقول في قوله (وكان تحته كنز لهما) قال لوح من ذهب مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله . وحدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عبد الله بن عباس عن عمر مولى غفرة قال إن الكنز الذي قال الله في السورة التي يذكر فيها الكهف (وكان تحته كنز لهما) قال كان لوحا من ذهب مصمت مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن عرف النار ثم ضحك عجب لمن أيقن بالقدر ثم نصب عجب لمن أيقن بالموت ثم أمن أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وحدثني أحمد بن حازم الغفاري حدثنا هنادة بنت مالك الشيبانية قالت سمعت صاحب حماد بن الوليد الثقفي يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله تعالى (وكان تحته كنز لهما) قال سطران ونصف لم يتم الثالث : عجبت للمؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت للمؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت للمؤمن بالموت كيف يفرح . وقد قال الله (وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفي بنا حاسبين) قالت وذكر أنهما حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء وكان ناسجا وهذا الذي ذكره هؤلاء الأئمة وورد به الحديث المتقدم وإن صح لا ينافي قول عكرمة إنه كان مالا لأنهم ذكروا أنه كان لوحا من ذهب وفيه مال جزيل أكثر مما زادوا أنه كان مودعا فيه علم وهو حكم ومواعظ والله أعلم . وقوله (وكان أبوها صالحا) فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ورفع درجاتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم كما جاء في القرآن ووردت به السنة قال سعيد بن جبير عن ابن عباس حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر لهما صلاحا وتقدم أنه كان الأب السابع فأنه أعلم . وقوله (فأراد ربك أن يبلغنا أشدهما ويستخرجا كنزهما) ههنا أسند الإرادة إلى الله تعالى لأن بلوغهما الحلم لا يقدر عليه إلا الله ، وقال في الغلام (فأردنا أن يبدلها ربها خيرا منه زكاة) وقال في السفينة (فأردت أن أعيها) فأنه أعلم . وقوله تعالى (رحمة من ربك وما فعلته عن أمري) أي هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة ووالدي الغلام ووالدي الرجل الصالح وما فعلته عن أمري أي لكني أمرت به ووقفت عليه وفيه دلالة لمن قال في الحديث الحضر عليه السلام مع ما تقدم من قوله (فوجدنا عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) روى آخرون كان رسولا وقيل بل كان ملكا نقله السائدي في تفسيره وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبيا بل كان وليا فأنه أعلم . وذكر ابن قتيبة في المعارف أن اسم الحضرة بلي بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالح بن ارفخشذ بن سام ابن نوح عليه السلام قالوا وكان يكنى أبا العباس ويلقب بالحضر وكان من أبناء الملوك ذكره النووي في تهذيب الأسماء وحكى هو وغيره في كونه باقيا إلى الآن ثم إلى يوم القيامة قولين ومال هو وابن الصلاح إلى بقاءه وذكروا في ذلك حكايات وآثارا عن السلف وغيرهم وجاء ذكره في بعض الأحاديث ولا يصح شيء من ذلك وأشهرها أحاديث التعزية وإسناده ضعيف ، ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم خلاف ذلك واحتجوا بقوله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر « اللهم إن تهلك هذه العصاة لاتعبد في الأرض » وبأنه لم ينقل أنه جاء إلى رسول الله ﷺ ولا حضر عنده ولا قاتل معه ولو كان حيا لكان من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم وأصحابه لأنه عليه السلام كان مبعوثاً إلى جميع الثقّلين الجن والإنس وقد قال « لو كان موسى وعيسى حين لما وسعهما إلا اتباعي » وأخبر قبل موته بقليل أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف إلى غير ذلك من الدلائل . قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخضر قال « إنما سمى خضراً لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من تحته خضراء » ورواه أيضاً عن عبد الرزاق وقد ثبت أيضاً في صحيح البخارى عن همام عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إنما سمى الخضر لأنه جلس على فروة فإذا هي تهتز من خضراء » والراد بالفروة ههنا الحشيش اليابس وهو المهشم من النبات ، قاله عبد الرزاق . وقيل المراد بذلك وجه الأرض وقوله (ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا) أى هذا تفسير ماضقت به ذرعا ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداء ، ولما أن فسره له وبينه ووضحه وأزال المشكل قال (تستطع) وقبل ذلك كان الاشكال قويا ثقيلا فقال (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا فقابل الأثقل بالأثقل والأخف بالأخف كما قال (فما استطاعوا أن يظهره) وهو الصعود إلى أعلاه (وما استطاعوا له تقبا) وهو أشق من ذلك فقابل كلا بما يناسبه لفظاً ومعنى والله أعلم . فان قيل : فما بال فتى موسى ذكر في أول القصة ثم لم يذكر بعد ذلك ؟ فالجواب أن المقصود بالسياق إنما هو قصة موسى مع الخضر وذكر ما كان بينهما ، وفتى موسى معه تبع ، وقد صرح في الأحاديث المتقدمة في الصحاح وغيرها أنه يوشع بن نون وهو الذى كان يلى بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام ؟ وهذا يدل على ضعف ما أورده ابن جرير في تفسيره حيث قال : حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة حدثني ابن إسحاق عن الحسن بن عمارة عن أبيه عن عكرمة قال قيل لابن عباس : لم نسمع لفتى موسى بذكر في حديث وقد كان معه قال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتى قال شرب الفتى من الماء فخلده فأخذته العالم فطابق به سفينة ثم أرسله في البحر فانها لتتجج به إلى يوم القيامة وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب ، إسناده ضعيف والحسن متروك وأبوه غير معروف

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَدَبًا ﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ (ويسألونك) يا محمد (عن ذى القرنين) أى عن خبره . وقد قدمنا أنه بعث كفار مكة إلى أهل الكتاب يستلون منهم ما يمتحنون به النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا سلوه عن رجل طواف في الأرض ، وعن فتية ما يدري ما صنعوا ، وعن الروح ، فنزلت سورة الكهف ، وقد أورد ابن جرير ههنا والأموى في مغازيه حديثاً أسنده وهو ضعيف عن عقبة بن عامر أن قرأ من اليهود جاءوا يستلون النبي صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين فأخبرهم بما جاءوا له ابتداء فكان فيما أخبرهم به أنه كان شاباً من الروم وأنه بنى الاسكندرية وأنه علا به ملك إلى السماء وذهب به إلى السدورأى أقواما وجوههم مثل وجوه الكلاب وفيه طول ونسكاراة ورفعته لا يصح وأكثر ما فيه أنه من أخبار بنى إسرائيل ، والعجب أن أبازرعة الرازى مع جلالة قدره ساقه بتامه في كتابه دلائل النبوة وذلك غريب منه ، وفيه من النسكاراة أنه من الروم وإنما الذى كان من الروم الاسكندر الثانى وهو ابن فيليس المقدونى الذى توثرخ به الروم ، فأما الأول (١) فقد ذكر الأزرقى وغيره أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل عليه السلام أول ما بناه وآمن به واتبعه وكان وزيره الخضر عليه السلام ، وأما الثانى فهو اسكندر بن فيليس المقدونى اليونانى وكان وزيره ارسطاطليس الفيلسوف المشهور والله أعلم . وهو الذى توثرخ من مملكته مائة الروم وقد كان قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة ، فأما الأول المذكور في القرآن فكان في زمن الخليل كما ذكره الأزرقى وغيره وأنه طاف مع الخليل عليه السلام بالبيت العتيق لما بناه إبراهيم عليه السلام وقرب إلى الله قربانا ، وقد ذكرنا طرفا صالحا من أخباره في كتاب البداية والنهاية بما فيه كفاية والله الحمد . وقال وهب بن منبه : كان ملكا وإنما سمي ذا القرنين

(١) قوله فأما الأول الخ كذا بالنسخ وفي العبارة شبه تكرار فحرقه .

لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس ، قال : وقال بعض أهل الكتاب لأنه ملك الروم وفارس ، وقال بعضهم كان في رأسه شبه القرنين ، وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال سئل على رضى الله عنه عن ذى القرنين فقال كان عبداً ناصحاً لله فناصره دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات فسمى ذا القرنين ، وكذا رواه شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل سمع علياً يقول ذلك ، ويقال إنه إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ المشارق والمغرب من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب ، وقوله (إنا مكنا له فى الأرض) أى أعطيناه ملكاً عظيماً ممكناً فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب والحصارات ولهذا ملك المشارق والمغرب من الأرض ودانت له البلاد وخضعت له ملوك البلاد وخدمته الأمم من العرب والعجم ، ولهذا ذكر بعضهم أنه إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها ، وقوله (وآتيناه من كل شئ سبياً) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدى وقتادة والضحاك وغيرهم: يعنى علماً ، وقال قتادة أيضاً فى قوله (وآتيناه من كل شئ سبياً) قال منازل الأرض وأعلامها ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله (وآتيناه من كل شئ سبياً) قال تعلم الألسنة قال كان لا يغزو قوماً إلا كلمهم بلسانهم ، وقال ابن لهيعة حدثنى سالم ابن غيلان عن سعيد بن أبى هلال أن معاوية بن أبى سفيان قال لكعب الأحبار أنت تقول إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثرى ؟ فقال له كعب إن كنت قلت ذلك فإن الله قال (وآتيناه من كل شئ سبياً) وهذا الذى أنكره معاوية رضى الله عنه على كعب الأحبار هو الصواب والحق مع معاوية فى ذلك الإنكار فإن معاوية كان يقول عن كعب إن كنا نلبو عليه الكذب يعنى فيما ينقله لأنه كان يتعمد نقل ما ليس فى صحفه ولكن الشأن فى صحفه أنها من الاسرائيليات التى غالبها مبدل مصحف محرف مختلق ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شئ منها بالكلية فانه دخل منها على الناس شر كثير وفساد عريض . وتأويل كعب قول الله (وآتيناه من كل شئ سبياً) واستمهاده فى ذلك على ما يجده فى صحفه من أنه كان يربط خيله بالثرى غير صحيح ولا مطابق فإنه لا سبيل للبشر إلى شئ من ذلك ولا إلى الترقى فى أسباب السموات وقد قال الله فى حق بلقيس (وأوتيت من كل شئ) أى مما يؤتى مثلها من الملوك ، وهكذا ذو القرنين يسر الله له الأسباب أى الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأراضى وكسر الأعداء وكبت ملوك الأرض واذلال أهل الشرك قد أوتى من كل شئ مما يحتاج إليه مثله سبياً والله أعلم . وفى المختارة للحافظ الضياء المقدسى من طريق قتيبة عن أبى عوانة عن سماك بن حرب عن حبيب بن حماد قال: كنت عند على رضى الله عنه وسأله رجل عن ذى القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب ؟ فقال سبحان الله سخر له السحاب وقدر له الأسباب وبسط له اليد .

﴿ فَاتَّبَعَ سَبِيًّا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْغُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قَلْبًا يَدَّاءُ لِقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تَمُدَّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَا مِنْ ظَلَمٍ فَسَوْفَ نَعْتَبُ بِهِ ثُمَّ يَرُدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا * وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾

قال ابن عباس (فأتبع سبياً) يعنى بالسب المنزل ، وقال مجاهد (فأتبع سبياً) منزلاً وطريقاً ما بين المشرق والمغرب ، وفى رواية عن مجاهد (سبياً) قال طرفى الأرض ، وقال قتادة أى اتبع منازل الأرض ومعالمها ، وقال الضحاك (فأتبع سبياً) أى المنازل ، وقال سعيد بن جبير فى قوله (فأتبع سبياً) قال: علماً وهكذا قال عكرمة وعبيد بن يعلى والسدى ، وقال مطر: معالم وآثار كانت قبل ذلك

وقوله (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) أى فسلك طريقاً حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب وهو مغرب الأرض وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فمتعذر وما يذكره أصحاب القصص والأخبار

من أنه سار في الأرض مدة والشمس تغرب من ورائه فشمس لاحقيقة له وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب واختلاف زنادقتهم وكذبهم وقوله (وجدها تغرب في عين حمة) أى رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه وهى لا تفارق الفلك الرابع الذى هى مثبتة فيه لا تفارقه والحمة مشتقة على إحدى القراءتين من الحماة وهو الطين كما قال تعالى (إني خالق بشرنا من صلصال من حمأ مسنون) أى طين أملس وقد تقدم بيانه ، وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أن أنبأنا نافع بن أبي نعيم سمعت عبد الرحمن الأعرج يقول كان ابن عباس يقول في عين حمة ثم فسرها ذات حمة قال نافع وسئل عنها كعب الأبحار فقال أتم أعلم بالقرآن منى ولكنى أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء ، وكذا روى غير واحد عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد وغير واحد وقال أبو داود الطيالسي حدثنا محمد بن دينار عن سعد بن أوس عن مصدع عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ أقرأه حمة ، وقال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس وجدها تغرب في عين حامية يعنى حارة وكذا قال الحسن البصرى ، وقال ابن جرير والصواب أنهما قراءتان مشهورتان وأنها قرأ القارىء فهو مصيب قلت ولا منافاة بين معنيهما إذ قد تكون حارة لجوارتها وهج الشمس عند غروبها وملافاها الشعاع بلا حائل وحمة في ماء وطين أسود كما قال كعب الأبحار وغيره . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام حدثني مولى لعبد الله ابن عمرو عن عبد الله قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشمس حين غابت فقال « في نار الله الحامية لولا مايزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض » قلت ورواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون وفي نسخة رفع هذا الحديث نظر ولعله من كلام عبد الله بن عمرو من راسلته اللتين وجدتهما يوم اليرموك والله أعلم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا حجاج بن حمزة حدثنا محمد يعنى ابن بشر حدثنا عمرو بن ميمون أنبأنا ابن حبان أن ابن عباس ذكر له أن معاوية ابن أبي سفيان قرأ الآية التى في سورة الكهف (تغرب في عين حامية) قال ابن عباس لمعاوية ما قرؤها إلا حمة فسأل معاوية عبد الله بن عمرو كيف قرؤها فقال عبد الله كما قرأها قال ابن عباس فقلت لمعاوية في بيتي نزل القرآن فأرسل إلى كعب فقال له أين تجد الشمس تغرب في التوراة ؟ فقال له كعب سل أهل العربية فإنهم أعلم بها . وأما أنا فإني أجد الشمس تغرب في التوراة في ماء وطين وأشار بيده إلى المغرب قال ابن حبان لو أنى عندك أفدتك بكلام تزداد فيه بصيرة في حمة قال ابن عباس وإذا ما هو قلت فيما يؤثر من قول تبع فيما ذكر به ذا القرنين في تخلفه بالعلم واتباعه إياه

بلغ المشارق والمغارب ينتهى * أسباب أمر من حكيم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها * في عين ذى خلب وثا ط حرم

فقال ابن عباس ما الحلب قلت الطين بكلامهم قال فما اللثا قلت الحماة قال فما الحرم قلت الأسود قال فدعا ابن عباس رجلا أو غلاما فقال اكتب ما يقول هذا الرجل وقال سعيد بن جبيرة بينا ابن عباس يقرأ سورة الكهف فقرأ (وجدها تغرب في عين حمة) فقال كعب والذى نفس كعب بيده ما سمعت أحدا يقرأها كما أنزلت في التوراة غير ابن عباس فانا نجدها في التوراة تغرب في مدرة سوداء ، وقال أبو يعلى الموصلى حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا هشام بن يوسف قال فى تفسير ابن جريج (ووجد عندها قوما) قال مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا أصوات أهلها لسمع الناس وجوب الشمس حين تجب ، وقوله (ووجد عندها قوما) أى أمة من الأمم ذكروا أنها كانت أمة عظيمة من بنى آدم وقوله (قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا) معنى هذا أن الله تعالى مكنه منهم وحكمه فيهم وأظفره بهم وخيره إن شاء قتل وسي وإن شاء من أو فدى فعرف عدله وإيمانه فيما أبداه عدله وبيانه فى قوله (أما من ظلم) أى استمر على كفره وشركه بربه (فسوف نعذبه) قال قتادة بالقتل وقال السدى كان يحمى لهم بقر النحاس ويضعهم فيها حتى يدوبوا وقال وهب بن منبه كان يسلط الظلمة فتدخل أجوافهم ويوتهم وتعشام من جميع جهاتهم والله أعلم ، وقوله (ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا) أى شديداً بليغا وجيعا أليما وفى هذا إثبات للعاد والجزاء . وقوله وأما من آمن أى تابعتا على ما ندعوه إليه من عبادة الله وحده لا شريك له (فله جزاء الحسنى أى فى الدار الآخرة عند الله

عزوجل (وسنقول له من أمرنا يسرا) قال مجاهد: معروفا .

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾

يقول تعالى ثم سلك طريقا فصار من مغرب الشمس إلى مطلعها وكان كلما مر بأمة قهرهم وغلبهم ودعاهم إلى الله عز وجل فان أطاعوه وإلا أذلهم وأرغم آنافهم واستباح أموالهم وأمتعهم واستخدم من كل أمة ما تستعين به جيوشه على قتال الأقليم المتناخم لهم ، وذكر في أخبار بني إسرائيل أنه عاش ألفا وسبائة سنة يجوب الأرض طولها والعرض حتى بلغ المشارق والمغرب ولما انتهى إلى مطلع الشمس من الأرض كما قال الله تعالى (وجدها تطلع على قوم) أي أمة (لم نجعل لهم من دونها سترا) أي ليس لهم بناء يكتنهم ولا أشجار تظلمهم وتسترهم من حر الشمس . قال سعيد بن جبير كانوا حرا قصارا مساكنهم الغيران أكثر معيشتهم من السمك .

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا سهل بن أبي الصلت سمعت الحسن وسئل عن قول الله تعالى (لم نجعل لهم من دونها سترا) قال إن أرضهم لا تحمل البناء فإذا طلعت الشمس تقوروا في المياه فإذا غربت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم قال الحسن هذا حديث سمرة ، وقال قتادة ذكر لنا أنهم بأرض لا تنبت لهم شيئا فهم إذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى حروثهم ومعاشهم وعن سلمة بن كهيل أنه قال : ليست لهم أكنان إذا طلعت الشمس طلعت عليهم فلا أحد لهم أذنان يفرش إحداهما ويلبس الأخرى ، قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) قال هم الزنج . وقال ابن جرير في قوله (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) قال لم يبنوا فيها بناء قط ولم يبن عليهم فيها بناء قط كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس أو دخلوا البحر وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل جاءهم جيش مرة فقال لهم أهلها لا تطلعن عليكم الشمس وأتم بها ، قالوا لا نبرح حتى تطلع الشمس ما هذه العظام ؟ قالوا هذه جيف جيش طلعت عليهم الشمس ههنا فأتوا ، قال فذهبوا هاربين في الأرض وقوله (كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا) قال مجاهد والسدي : علماء أي نحن مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه لا يخفى علينا منها شيء وإن تفرقت أعمهم وتقطعت بهم الأرض فانه تعالى (لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء) .

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا قَوْمِ نُبْنَا إِنَّا يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾

يقول تعالى مجبرا عن ذى القرنين ثم أتبع سببا أي ثم سلك طريقا من مشارق الأرض حتى إذا بلغ بين السدين وهما جبلان متناوحيان بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك فيعينون فيها فسادا ويهلكون الحرث والنسل ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيحين « ان الله تعالى يقول : يا آدم فيقول لييك وسعديك فيقول ابعت بعث النار فيقول وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فيحئنذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها فقال ان فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا . كثرناه يأجوج ومأجوج » وقد حكى النووى رحمه الله في شرح مسلم عن بعض الناس أن يأجوج ومأجوج خلقوا من منى

خرج من آدم فاختلط بالتراب فخلقوا من ذلك ، فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء وهذا قول غريب جداً ثم لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل ولا يجوز الاعتماد هنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة والله أعلم

وفي مسند الإمام أحمد عن ممرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ولد نوح ثلاثة : سام أبو العرب وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك » قال بعض العلماء هؤلاء من نسل يافث أبي الترك ، وقال إنما سمى هؤلاء تركا لأنهم تركوا من وراء السد من هذه الجهة وإلا فهم أقرباء أولئك ولكن كان في أولئك بغي وفساد وجراءة وقد ذكر ابن جرير هنا عن وهب بن منبه أنرا طويلا عجيبا في سير ذى القرنين وبنائه السد وكيفية ما جرى له وفيه طول وغرابة ونكارة في أشكالهم وصفاتهم وطولهم وقصر بعضهم وأذانهم وروى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة لا تصح أسانيدھا والله أعلم . وقوله (وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا) أى لاستعجاب كلامهم وبعدهم عن الناس (قالوا يا ذى القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا) قال ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس أجرا عظيما يعنى أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالا يعطونه إياه حتى يجعل بينه وبينهم سدا فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير (ما مكى فيه ربي خير) أى إن الذى أعطانى الله من الملك والتمكين خير لى من الذى يجمعونه كما قال سليمان عليه السلام (آعدونن بجال فما آتانى الله من خير مما آتاكم) الآية وهكذا قال ذو القرنين الذى أنا فيه خير من الذى تبدلونه ولكن ساعدونى بقوة أى بملككم وآلات البناء (أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد) والزبر جمع زبرة وهى القطعة منه قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وهى كاللينة يقال كل لينة زنة قطار بالمشقى أو تزيد عليه (حتى إذا ساوى بين الصدفين) أى وضع بعضه على بعض من الأساس حتى إذا حاذى به رءوس الجبلين طولاً وعرضاً واختلفوا فى مساحة عرضه وطوله على أقوال (قال انفضوا) أى أجمع عليه النار حتى صار كله نارا (قال آتوني أفرغ عليه قطرا) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدى هو النحاس زاد بعضهم المذاب ويستشهد بقوله تعالى (وأسلنا له عين القطر) ولهذا يشبه بالبرد المحبر . قال ابن جرير حدثنا بشر بن يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أن رجلا قال يا رسول الله قدر أيت سد يأجوج ومأجوج قال « انته لى » قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال « قد رأيتہ » هذا حديث مرسل ، وقد بعث الخليفة الواثق فى دولته بعض أمراءه وجهز معه جيشا سرية لينظروا إلى السد ويعاينوه وينعتوه له إذا رجعوا فتوصلوا من بلاد إلى بلاد ومن ملك إلى ملك حتى وصلوا إليه ورأوا بناء من الحديد ومن النحاس وذكروا أنهم رأوا فيه باباً عظيماً وعليه أقفال عظيمة ورأوا بقية الابن والعمل فى برج هناك وأن عنده حرسا من الملوك المتاخمة له وأنه عال منيف شاق لا يستطيع ولا ماحوله من الجبال ثم رجعوا إلى بلادهم وكانت غيبتهم أكثر من سنتين وشاهدوا أهوالا وعجائب ، ثم قال الله تعالى ،

﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن يأجوج ومأجوج إنهم ما قدروا على أن يصعدوا من فوق هذا السد ولا قدروا على تقبه من أسفله ولما كان الظهور عليه أسهل من تقبه قابل كلا بما يناسبه فقال (فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا) وهذا دليل على أنهم لم يقدروا على تقبه ولا على شيء منه فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة حدثنا أبو رافع عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً

فيعودون اليه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم : ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله فيستثنى فيعودون اليه وهو كهيته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهيئة الدم فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا في رقابهم فيقتلهم بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم » ورواه أحمد أيضا عن حسن هو ابن موسى الأشهب عن سفيان عن قتادة به وكذا رواه ابن ماجه عن أزهر بن مروان عن عبد الأعلى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال حدث أبو رافع وأخرجه الترمذي من حديث أبي عوانة عن قتادة ثم قال غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه وإسناده جيد قوى ولكن منتهى في رفعه نكارة لأن ظاهر الآية يقتضى أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من تقبه لاحكام بنائه وصلابته وشدته ولكن هذا قد روى عن كعب الأحبار أنهم قبل خروجهم يأتونه ويلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل فيقولون غدا نفتحها فيأتون من الغد وقد عاد كما كان فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل فيقولون كذلك فيصبحون وهو كما كان فيلحسونه ويقولون غدا نفتحها ويلهمون أن يقولوا إن شاء الله فيصبحون وهو كما فارقه فيفتحونه وهذا متجه ولعل أبهريرة تلقاه من كعب فانه كان كثيرا ما كان يجالسه ويحدثه فحدث به أبهريرة فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه والله أعلم

ويؤيد ما قلناه من أنهم لم يتمكنوا من تقبه ولا تقب شيء منه ومن نكارة هذا المرفوع قول الإمام أحمد حدثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان عن أمها أم حبيبة عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ - قال سفيان أربع نسوة - قالت استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول « لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا » وحلق قلت يا رسول الله أنهم لك وفينا الصالحون ؟ قال « نعم إذا كثرت الحيات » هذا حديث صحيح اتفق البخارى ومسلم على إخراجه من حديث الزهري ولكن سقط في رواية البخارى ذكر حبيبة وأثبتها مسلم وفيه أشياء عزيزة نادرة قليلة الوقوع في صناعة الإسناد منها رواية الزهري عن عروة وهما تابعيان ومنها اجتماع أربع نسوة في سند كهن يروى بعضهم عن بعض ثم كل منهن صحابية ثم ثنتان ربيتان وثلثان زوجتان رضى الله عنهن ، وقدروى نحو هذا عن أبي هريرة أيضا فقال البزار حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا وهب عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا » وعقد التسمين ، وأخرجه البخارى ومسلم من حديث وهب به . وقوله (قال هذا رحمة من ربى) أى لما بناه ذوالقرنين (قال هذا رحمة من ربى) أى بالناس حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلا يمنعهم من العبث فى الأرض والفساد (فإذا جاء وعد ربى) أى إذا اقترب الوعد الحق (جعله دكاء) أى ساواه بالأرض تقول العرب ناقة دكاء إذا كان ظهرها مستويا لاسنام لها وقال تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) أى مساويا للأرض . وقال عكرمة فى قوله (فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء) قال طريقا كما كان (وكان وعد ربى حقا) أى كأننا لا عمالة . وقوله (وتركنا بعضهم) أى الناس يومئذ أى يوم يدك هذا السد ويخرج هؤلاء فيموجون فى الناس ويفسدون على الناس أموالهم ويتلفون أشياءهم وهكذا قال السدى فى قوله (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) قال ذلك حين يخرجون على الناس وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد الدجال كما سيأتى بيانه عند قوله (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون * واقرب الوعد الحق) الآية وهكذا قال ههنا (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) قال هذا أول يوم القيامة (ثم نفخ فى الصور) على أثر ذلك (فجمعناهم جمعا) وقال آخرون بل المراد بقوله (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) قال إذا ماج الجن والإنس يوم القيامة يختلط الإنس والجن ، وروى ابن جرير عن محمد ابن حميد عن يعقوب القمى عن هرون بن عنترة عن شيخ من بنى فزارة فى قوله (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى

بعض) قال إذا ماج الإنس والجن قال إبليس أنا أعلم لكم علم هذا الأمر فيظنن إلى المشرق فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض ثم يظنن إلى المغرب فيجد الملائكة قد بطنوا الأرض فيقول مامن مامن محيص ثم يظنن يمينا وشمالا إلى أقصى الأرض فيجد الملائكة قد بطنوا الأرض فيقول مامن مامن محيص فيبيننا هو كذلك إذ عرض له طريق كاشراك فأخذ عليه هو وذريته فيبنام عليه إذ هجموا على النار فأخرج الله خازنا من خزان النار فقال يا إبليس ألم تكن لك منزلة عند ربك ألم تكن في الجنان؟ فيقول ليس هذا يوم عتاب لو أن الله فرض على فريضة لعبده فيها عبادة لم يعبد مثلها أحد من خلقه فيقول فان الله قد فرض عليك فريضة فيقول ما هي فيقول يأمرك أن تدخل النار فيتركها عليه فيقول به وبذريته بجناحه فيقذفهم في النار فترزق النار زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جنى لركبته ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي به ثم رواه من وجه آخر عن يعقوب عن هارون عن عنترة عن أبيه عن ابن عباس (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قال الإنس والجن يموج بعضهم في بعض

وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الاصبهاني حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا المغيرة بن مسلم عن أبي إسحاق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معاشهم ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفا فصاعداً وإن من ورائهم ثلاث أمم تاويل وتايس ومنسك » هذا حديث غريب بل منكر ضعيف . وروى النسائي من حديث شعبة عن النعمان بن سالم عن عمرو بن أوس عن أبيه عن جده أوس بن أبي أوس مرفوعاً « إن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ماشاءوا وشجر يلقحون ماشاءوا ولا يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفا فصاعداً » وقوله (وفتح في الصور) والصور كجاء في الحديث قرن يفتح فيه والذي يفتح فيه إسرائيل عليه السلام كما قد تقدم في الحديث بطوله والأحاديث فيه كثيرة . وفي الحديث عن عطية عن ابن عباس وأبي سعيد مرفوعاً « كيف أنعم وصاحب القرن قد اتقم القرن وحى جبهته واستمع متى يؤمر » قالوا كيف تقول قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وقوله (فجمعناهم جمعاً) أى أحضرننا الجميع للحساب (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) (وحشرناهم فلم تغادر منهم أحداً)

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا * الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا * أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عما يفعله بالكفار يوم القيامة أنه يعرض عليهم جهنم أى يبرزها لهم ويظهرها ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن لهم . وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « يؤتى بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك » ثم قال مخبرا عنهم (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري) أى تعافلوا وتعاموا وتصاموا عن قبول الهدى واتباع الحق كما قال (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) وقال ههنا (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أى لا يعقلون عن الله أمره ونهيه ثم قال (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونه أولياء) أى اعتقدوا أنهم يصح لهم ذلك وينتفعون به (كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) ولهذا أخبر الله تعالى أنه قد أعد لهم جهنم يوم القيامة منزلا

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِبَيِّنَاتٍ رَبِّهمْ وَلِقَاءِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا * ذَلِكَ جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آيتي ورسلي هزوا ﴾

قال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو عن مصعب قال : سألت أبا يعنى سعد بن أبى وقاص عن قول الله (قل هل تنبئكم بالأخسرين أعمالاً) أمم الحرورية قال لا هم اليهود والنصارى ، أما اليهود فكذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب ، والحرورية الذين يتفضون عهد الله من بعد ميثاقه فكان سعد رضى الله عنه يسميهم الفاسقين ، وقال طلى بن أبى طالب والضحاك وغير واحد : هم الحرورية ، ومعنى هذا عن طلى رضى الله عنه أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم لا أنها نزلت في هؤلاء طلى الخصوص ولا هؤلاء بل هي أعم من هذا فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى وقبل وجود الخوارج بالكيفية وإنما هي عامة في كل من عبد الله طلى غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول وهو مخطئ ، وعمله مردود كما قال تعالى (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية) وقال تعالى (وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً) وقال تعالى (والذين كفروا ببرهم أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) وقال في هذه الآية الكريمة (قل هل تنبئكم) أى تخبركم (بالأخسرين أعمالاً) ثم فسره فقال (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا) أى عملوا أعمالاً باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنفاً) أى يعتقدون أنهم على شيء وأنهم مقبولون محبوبون ، وقوله (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) أى جحدوا آيات الله في الدنيا وبراهينه التى أقام طلى وحدانيته وصدق رسله وكذبوا بالدار الآخرة (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً) أى لا تثقل موازينهم لأنها خالية عن الخير . قال البخارى حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا سعيد بن أبى مريرم أخبرنا النخعي حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « لىأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة - وقال - اقرءوا إن شئتم (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً) » وعن يحيى بن بكير عن مغيرة بن عبد الرحمن عن أبى الزناد مثله هكذا ذكره عن يحيى بن بكير معلقاً ، وقد رواه مسلم عن أبى بكر محمد بن إسحق عن يحيى بن بكير به ، وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا أبو الوليد حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالرجل الأكل الشراب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها » قال وقرأ (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً) وكذا رواه ابن جرير عن أبى كريب عن أبى الصلت عن أبى الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة مرفوعاً ذكره بلفظ البخارى سواء وقال أحمد بن عمرو بن عبد الحالى البرار حدثنا العباس بن محمد حدثنا عون بن عمارة حدثنا هاشم بن حسان عن واصل عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رجل من قريش يخطر في حلة له فلما قام على النبي ﷺ قال « يا بريدة هذا ممن لا يقيم الله له يوم القيامة وزناً » ثم قال تفرد به واصل مولى أبى عنبسة وعون بن عمارة وليس بالحافظ ولم يتابع عليه وقد قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الأعمش عن سمرة عن أبى يحيى عن كعب قال يؤتى يوم القيامة رجل عظيم طويل فلا يزن عند الله جناح بعوضة ، اقرءوا (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً) وقوله (ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا) (أى إنما جازيتناهم بهذا الجزاء بسبب كفرهم واتخاذهم آيات الله ورسله هزوا استهزؤا بهم وكذبوهم أشد التكذيب

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾

يخبر تعالى عن عباده السعداء وهم الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا المرسلين فيما جاءوا به أن لهم جنات الفردوس قال مجاهد: الفردوس هو البستان بالرومية ، وقال كعب والسدى والضحاك: هو البستان الذى فيه شجر الأعناب وقال أبو أمامة: الفردوس سرية الجنة وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وقد روى هذا مرفوعاً من حديث سعيد بن جبير عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « الفردوس ربوة الجنة أوسطها وأحسنها »

وهكذا رواه إسماعيل بن مسلم عن الحسن بن ممره مرفوعا وروى عن قتادة عن أنس بن مالك مرفوعا بنحوه وروى ذلك كله ابن جرير رحمه الله ، وفي الصحيحين « إذا سألت الله الجنة فاسأله الفردوس فانه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة » وقوله تعالى (نزلا) أى ضيافة فان النزول الضيافة وقوله (خالدين فيها) أى مقيمين ساكنين فيها لا يظعنون عنها أبداً (لا ييغون عنها حولا) أى لا يختارون عنها غيرها ولا يحبون سواها كما قال الشاعر

فحلت سويدا القلب لا أنا باغياً سواها ولا عن حبها أتحول

وفي قوله (لا ييغون عنها حولا) تنبيه على رغبتهم فيها وحبهم لها مع أنه قد يتوهم فيمن هو مقيم في السكان دائماً أنه قد يسأمه أو يمله فأخبر أنهم مع هذا الدوام والخلود السرمدي لا يختارون عن مقامهم ذلك متحولاً ولا انتقالاً ولا ظناً ولا رحلة ولا بدلاً

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لو كان ماء البحر مداداً للقول الذى يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالة عليه لنفد البحر قبل أن يفرغ كتابة ذلك (ولو جئنا بمثله) أى بمثل البحر آخر ثم آخر وهلم جرا بحور تمده ويكتب بها ما نفدت كلمات الله كما قال تعالى (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) وقال الربيع بن أنس إن مثل علم العباد كلهم فى علم الله كقطرة من ماء البحور كلها وقد أنزل الله ذلك (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى) يقول لو كانت تلك البحور مداداً لكلمات الله والشجر كله أقلام لانكسرت الاقلام وفى ماء البحر ، وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنى شيء لأن أحداً لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثنى عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذى يثنى على نفسه إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول ، إن مثل نعيم الدنيا أولها وآخرها فى نعيم الآخرة كحبة من خردل فى خلال الأرض كلها

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا

صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

روى الطبرانى من طريق هشام بن عمار عن إسماعيل بن عياش عن عمرو بن قيس الكوفى أنه سمع معاوية بن أبى سفيان أنه قال هذه آخر آية أنزلت يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه (قل) لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك إليهم (إنما أنا بشر مثلكم) فمن زعم أنى كاذب فليأت بمثل ما جئت به فانى لا أعلم الغيب فيما أخبرتكم به من الماضى عما سألتكم من قصة أصحاب الكهف وخبر ذى القرنين مما هو مطابق فى نفس الأمر لولا ما أطلعنى الله عليه وإنما أخبركم (أنما إلهكم) الذى أدعوكم إلى عبادته (إله واحد) لا شريك له (فمن كان يرجو لقاء ربه) أى ثوابه وجزاءه الصالح (فليعمل عملاً صالحاً) ما كان موافقاً لشرع الله (ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وهو الذى يراد به وجه الله وحده لا شريك له ، وهذان ركنا العمل المتقبل . لا بد أن يكون خالصاً لله صواباً على شريعة رسول الله ﷺ وقد روى ابن أبى حاتم من حديث معمر بن عبد الكريم الجزرى عن طاوس قال : قال رجل يا رسول الله إني أقف المواقف أريد وجه الله وأحب أن يرى موطنى فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً حتى نزلت هذه الآية (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وهكذا أرسل هذا مجاهد وغير واحد ، وقال الأعمش حدثنا حمزة أبو عماره مولى بنى هاشم عن شهر بن حوشب قال جاء رجل إلى عبادة بن الصامت فقال أنبئنى عما أسألك عنه . أ رأيت رجلاً يصلى بيتنى وجه الله ويحب أن يحمد ، ويصوم بيتنى وجه الله ويحب أن يحمد ، ويتصدق بيتنى وجه الله ويحب أن يحمد ، ويحج بيتنى وجه الله ويحب أن يحمد ، فقال عبادة ليس له شيء إن الله تعالى يقول : أنا خير شريك فمن كان له معنى شريك فهو له كله لا حاجة لى فيه . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا كثير بن زيد عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه عن جده قال كنا تتناوب رسول الله ﷺ

فبقيت عنده تكون له الحاجة أو يطرقه أمر من الليل فبيعتنا ففكر المحبسون وأهل النوب فكنا نتحدث فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما هذه النجوى ؟ » قال قفلنا تبنا إلى الله أي نبى الله إنما كنا في ذكر المسيح وفرقنا منه فقال « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي ؟ » قال : قلنا بلى قال « الشرك الحفى أن يقوم الرجل يصلى لمكان الرجل » . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد يعنى ابن بهرام قال : قال شهر بن حوشب قال ابن غنم لما دخلنا مسجد الجابية أنا وأبو الدرداء لقينا عبادة بن الصامت فأخذ يميني بشماله وشمال أبي الدرداء يمينه فخرج يمشي بيننا ونحن نتناجى والله أعلم بما نتناجى به فقال عبادة بن الصامت إن طال بكما عمر أحدكما أو كليكما لتوشكان أن تريا الرجل من ثبج المسلمين يعنى من وسط قراء القرآن على لسان محمد ﷺ فأعاده وأبدأه وأحل حلاله وحرم حرامه ونزله عند منزله لا يجوز فيكم إلا كما يجوز رأس الحمار الميت . قال فبينما نحن كذلك إذ طلع شداد بن أوس رضى الله عنه وعوف بن مالك فجلسا إلى ناقال شداد إن أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس لما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من الشهوة الحفية والشرك » فقال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء : اللهم غفرا ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حدثنا أن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب . أما الشهوة الحفية فقد عرفناها هي شهوات الدنيا من نساها وشهواتها فما هذا الشرك الذى تخوفنا به يا شداد ؟ قال شداد أرايتكم لورايتهم رجلا يصلى لرجل أو يصوم لرجل أو يتصدق أترون أنه قد أشرك ؟ قالوا نعم والله إن من صلى أو صام أو تصدق له لقد أشرك فقال شداد فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من صلى يرأى فقد أشرك ، ومن صام يرأى فقد أشرك ، ومن تصدق يرأى فقد أشرك » قال عوف بن مالك عند ذلك أفلا يعمد الله إلى ما ابتغى به وجهه من ذلك العمل كله فيقبل ما خالص له ويدع ما أشرك به فقال شداد عند ذلك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله يقول أنا خيرتسليم لمن أشرك بي من أشرك بي شيئا فإن عمله قليله وكثيره لشريكه الذى أشرك به ، أنا عنه غنى »

﴿ طريق أخرى لبعضه ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني عبد الواحد بن زياد أخبرنا عبادة بن نسي عن شداد ابن أوس رضى الله عنه أنه بكى فقيل له ما يبكيك قال شيء سمعته من رسول الله ﷺ فأبكاني ، سمعت رسول الله يقول « أتخوف على أمتي الشرك والشهوة الحفية » قلت يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك قال « نعم أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمرًا ولا حجراً ولا وتنا ولكن يراءون بأعمالهم والشهوة الحفية أن يصبح أحدهم صائماً فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه » ورواه ابن ماجه من حديث الحسن بن ذكوان عن عبادة بن نسي به وعبادة فيه ضعف وفي سماعة من شداد نظر ﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو بكر البرزاري حدثنا الحسن بن علي بن جعفر الأحمر حدثنا علي بن ثابت حدثنا قيس بن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله يوم القيامة أنا خير شريك من أشرك بي أحدا فهو له كله » ، وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت العلاء يحدث عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يرويه عن الله عز وجل أنه قال « أنا خير الشركاء فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه وهو للذى أشرك » تفرد به من هذا الوجه ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا الليث عن يزيد يعنى ابن الهاد عن عمرو عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله ، قال « الرياء ، يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بكر أخبرنا عبد الحميد يعنى ابن جعفر أخبرني أبي عن زياد بن مينا عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري وكان من الصحابة أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لاريب فيه نادى مناد : من كان أشرف في عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك » وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث محمد وهو البرساني به ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا

أحمد بن عبد الملك حدثنا بكار حدثني أبي - يعني عبد العزيز بن أبي بكرة - عن أبي بكرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من مع مع الله به ومن رأى رأى الله به » وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية حدثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال « من يرائى يرائى الله به ومن يسمع يسمع الله به » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة حدثني عمرو بن مرة قال سمعت رجلاً في بيت أبي عبيدة أنه مع عبد الله بن عمرو يحدث ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « من سمع الناس بعمله سمع الله به ، مسامع خلقه وصغره وحقره » فذرفت عينا عبد الله ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن يحيى الأيلى حدثنا الحارث بن غسان حدثنا أبو عمران الجونى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تعرض أعمال بى آدم بين يدى الله عز وجل يوم القيامة فى صحف مخرمة فيقول الله ألقوا هذا واقلوا هذا فتقول الملائكة يا رب والله ما رأينا منه إلا خيراً فيقول إن عمله كان لغير وجهى ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهى » ثم قال الحارث بن غسان روى عنه جماعة وهو ثقة بصرى ليس به بأس ، وقال وهب حدثني يزيد بن عياض عن عبد الرحمن الأعرج عن عبد الله بن قيس الحزاعى أن رسول الله ﷺ قال « من قام رياء وسمعة لم يزل فى مقت الله حتى يجلس » وقال أبو يعلى حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا محمد بن دينار عن إبراهيم الهجرى عن أبي الأحوص عن عوف ابن مالك عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه عز وجل » وقال ابن جرير حدثنا أبو عامر إسمايل بن عمرو السكونى حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن عياش حدثنا عمرو بن قيس الكندى أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية (فمن كان يرجوا لقاء ربه) الآية ، وقال إنها آخر آية نزلت من القرآن وهذا أثر مشكل فان هذه الآية آخر سورة الكهف والكهف كلها مكية ولعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها بل هى مثبتة محكمة فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه والله أعلم. وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق حدثنا النضر بن شميل حدثنا أبو قرة عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ فى ليلة: (فمن كان يرجوا لقاء ربه) الآية كان له من النور من عدن من أين إلى مكة حشو ذلك النور الملائكة » غريب جداً .
آخر تفسير سورة الكهف

(تفسير سورة مريم وهى مكية)

وقد روى محمد بن إسحق فى السيرة من حديث أم سلمة ، وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود فى قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشى وأصحابه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كَهَيْعَتِكَ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً * إِذْ نَادَى * نَدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِنُّ وَيَرْثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم فى أول سورة البقرة . وقوله (ذكر رحمت ربك) أى هذا ذكر رحمة الله عبده زكريا ، وقرأ يحيى بن يعمر (ذكر رحمت ربك عبده زكريا) وزكريا يمد ويقصر قراءتان مشهورتان . وكان نبيا عظيما من أنبياء بنى إسرائيل ، وفى صحيح البخارى أنه كان نجارياً . كل من عمل يده فى التجارة . وقوله (إذ نادى) أى نادى ربه نداء خفياً) قال بعض المفسرين إنما أخفى دعاءه لئلا ينسب فى طلب الولد إلى الرعونة لكبره ، حكاه الماوردى وقال الآخرون إنما أخفاه لأنه أحب إلى الله كما قال قتادة فى هذه الآية (إذ نادى ربه نداء خفياً) إن الله يعلم القلب التقي ، ويسمع الصوت الخفى ، وقال بعض السلف قام من الليل عليه السلام وقد نام أصحابه فجعل يهتف بربه يقول: